الأثَرُ البَلَاغِيُّ لِـ "الْفَاءِ وَالْوَاوِ" الدَّاخِلَتَيْنِ عَلَى "لَمَّا الحِينِيَّةِ" فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام

د. أحمد محمد محمود سعيد
أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي
الأزهر الشريف، وطيبة الطيبة

الأثَرُ البَلَاغِيُّ لِـ "الْفَاءِ وَالْوَاوِ" الدَّاخِلَتَيْنِ عَلَى "لَمَّا الحِينِيَّةِ" فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام

د.أحمد محمد محمود سعيد
أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي
الأزهر الشريف، و طيبة الطيبة

تاريخ تقديم البحث: ١٥/ ٣/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١١/ ٦/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

جدَّ هذا البحثُ المتواضعُ في بيان الأثر البلاغي لكلا حَرْفَيِ العطف: "**الفاء**" و"**الواو**"- الداخلين على "**لمّا**" الحينية- في الإيحاء بتغاير عنصر الزمن- ضمورا أو تراخيا- في سورة يوسف عليه السلام، بناء على قناعتين- لغوية وعقدية- راسختين بأن كلّ عنصر في الذكر الحكيم قارٌّ قرارَه؛ بحيث لا يصحّ غيرُه مكانَه لغةً كما لا يصح ذلك عقيدة، وبناء على أن ثَمَّ فروقا دقيقة بين هذين الحرفين (**الفاء، والواو**) اقتضت كلا منهما حيث وردا، وإلا لاطّرد أحدهما دون الآخر في السورة الشريفة على كثرة مواضعهما، أو لَتناصفا المواضع- متناوبين- في السورة الشريفة- مثلا- وذلك لم يكن، وإنما اقترن حرف "**الفاء**" بـ "**لمّا**" في ضعفي مواضع اقتران "**الواو**" بها.

وقد انبثق البحث وكذلك بَنَى على دلالات أداتي "الفاء، والواو" في اللغة- من إفادة الأولى الترتيب مع التعقيب، وإفادة الثانية مطلق الجمع-، فعالج البحثُ ثلاثة عشر موضعا لـ "الفاء" وستة مواضع لـ "الواو"- فمجموعهما تسعة عشر موضعا هي مواضع اقترانهما بـ "**لمَّا**" الحينية في السورة الشريفة.

وجاء البحث في **مقدمة** تبين أهداف البحث، وخطته ومنهجه، و**تمهيد** يَعرض لشيء من فقه الأدوات الثلاث: "**الفاء، الواو، لمَّا**"، **ومبحثين**: الأول بعنوان (أثر "**الفاء**" الداخلة على "**لَمَّا الحينية**" في الإيحاء بضغط زمن الأحداث في سورة يوسف عليه السلام)، **والثاني بعنوان** (أثر "**الواو**" الداخلة على "**لَمَّا الحينية**" في الإيحاء بتراخي زمن الأحداث في سورة يوسف عليه السلام)، وانتهى البحث إلى عدة نتائج موضعها في الخاتمة إن شاء الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الفاء، الواو، لما الحينية، عنصر الزمن، سورة يوسف عليه السلام.

The Rhetorical Effect o "faaa" and "wawo" Attached to Temporal "lama"

Dr. Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed
Professor of Rhetoric & Criticism, Department of Arabic Language & Humanities, Taibah University

Abstract:

This paper seeks to reveal the rhetorical significance of both the two coordination particles: 'faa' and 'waw' modifying temporal 'lamma' – indicating time change with fast or slow pace- in Yousef surah (peace be upon him).

This is based on two firm facts – linguistic and theological- that each lexical item is in its correct place, i.e. it cannot be replaced from both the linguistic and theological point of view. Moreover, there are subtle differences between these two particles, making them mutually exclusive. Otherwise, one of them will surpass the other in the sublime surah although, their frequent repetition in the surah or the two particles share equally the repetitive pattern. Yet, the fact is that the pattern (faa + lamma) is twice as much as the (waw+lamma) pattern.

The paper is developed on the significance of 'faa' and 'was'. The first indicates the order and tracking. The later indicates pure coordination. Thus, the paper tackles 13 positions of the 'faa', and six positions of the 'waw', making up 19 positions in which they are attached to 'lamma' in the sublime surah.

The introduction uncovers the research objectives as well as the methodology. The preface represents a background on the three particles: 'faa', 'waw' and 'lamma'. There are two sections: the first one titled 'the impact of 'faa' modifying temporal 'lamma' in indicating contracting the time of the events; the second one titled 'the impact of 'waw' modifying temporal 'lamma' in indicating relaxation of the time of the events'. The paper concludes several findings stated in the conclusion.

key words: faa, waw, lamma, temporality, time element, Yousef surah.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وأنزل له القرآن؛ ليهتدي به في سلوك دروب البيان كما يهتدي به في تصحيح عقائده ومعالجته أحداث الزمان، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بلسان فأبان، وعلى آله وصحبه وتبَعه في كل زمان ومكان.

أما بعد، فقد قرّر علماء الإسلام قديما أن إعجاز القرآن الكريم يتجلى فيما يتجلى بوضع كل شيء من خصائص تراكيبه موضعه "الذي. لا يُرى في صورة العقل أمرٌ أليق منه"(١)، كما أنه لا "يصحُّ في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه إذا تبدّلتَه منه، فضلاً عن أن يفِيَ به، وفضلاً عن أن يُربِيَ عليه، ولو أدرتَ اللغة كلها على هذا الموضع "(٢).

ويسهم البحث في تفعيل تلك النظرية الإعجازية النظرية، وفي ترجمتها واقعا من خلال بيان الفروق، وبيان الإشارات الكامنة في مواقع حرفي "الفاء" و"الواو" المقترنتين بـ "**لمَّا**" الحينية في سورة يوسف عليه السلام.

وبإنعام النظر يتبين أن لمواقع "الفاء" و"الواو" الداخلتين على "**لمَّا**" المشهورة بـ "الحينية" في الذكر الحكيم إشاراتٍ بارعات في تلوين عنصر الزمن بين شرط "**لمَّا**" وجوابها، وما بين ما قبل هذين الحرفين وما بعدهما امتدادا، كما أن

---

(١) بيان إعجاز القرآن لابي سليمان الخطابي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ٢٧. تحقيق محمد خلف الله احمد، ومحمد زغلول سلام (ذخائر العرب) ط.٣ دار المعارف بمصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص١٤٦ لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، ط.٨ دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

لتوزيعهما على المعاني والمقامات والسياقات في السورة الشريفة- وفي غيرها من الذكر الحكيم- بهذه الدقة غرضا مقصودا، يقتضي كلّا منهما اقتضاء لازما- حيث اقترنتا بـ "**لمَّا**"، بحيث يتجلّى للمدقّق عدمُ جواز إحداهما مكان أختها ألبتة.

ويتجلى الإعجاز البلاغي في حرفَي العطف "الفاء" و"الواو" في سورة يوسف عليه السلام بصورة أجلى؛ حيث إنها تعالج قصة متكاملة الأركان، متتابعة الأحداث، متغايرة الأماكن، متمايزة الأشخاص، في قصة وصفها الذكر الحكيم بـ "أحسن القصص".

ومن يُنعم النظر في سورة يوسف عليه السلام يُبصر في تناوب "الفاء" و"الواو" المواضعَ الداخلةَ كلٌّ منهما فيه على "**لمَّا**" دقةً دقيقةً وتناغما رقيقا، يلائم تتابُع المعاني وتسلسُل المشاهد في أعلى صور الملاءمة، وكذلك سيرى- بوضوح لا لبس فيه- تَغايرَ عُنصر الزمن طَيّا وسرعة يقتضي "الفاء" حيث وردت، وتباطؤا وارتخاءً تفسح له "الواو" حيث وردت- كما سيأتي تفصيلا- إن شاء الله تعالى.

والواو بهذا الطرح الجديد تخرج عن وضعها الضيق- من التشريك المطلق- إلى مجال أرحب.

ولو لم يكن ذلك مقصودا نظميّا كامنا في "الفاء" و"الواو" لاطَّردتْ المواضع كلها على استعمال إحداهما دون الأخرى، وإذ لم يطّرد دخول إحداهما على "**لمَّا**" دون الأخرى في السورة كلها فقد دلّ ذلك دلالة فصيحة صريحة على قصد إظهار التغاير الزمني للإيحاء، وما يتبعه من تصوير فتور النفوس أو نشاطها- مما ينبه على فوارق ما بينهما من تلك الإشارات الدقيقة في السياقات

المختلفة حيثما وردتا، أقول: وإن لم يقصد إلى ذلك لاطّردتْ إحداهما دون أختها في السورة الشريفة على امتدادها- كما سبق.

وقد جدّ هذا البحث المتواضع في تلمُّس الإجابات الشافية عن أسئلة تلحُّ على ذهن مَن يُعنَى بخصائص التراكيب القرآنية، منها:

لماذا اقتضى النظمُ الشريف "الفاءَ" حيث دخلت على "**لمَّا**" الحينية في سورة يوسف عليه السلام، في حين اقتضى النظم الشريف "الواوَ" حيث دخلت عليها في مقامات وسياقات أُخَر من السورة الكريمة؟؟

ما الدلالات الكامنة في كلٍّ؟ ثم ما الأغراض الداعية إلى كثرة دخول "الفاء" مقارَنة بـ "الواو" على "**لمَّا**" الحينية في السورة الكريمة خصوصا؟؟ وهل تطّرد تلك الظاهرة في الذكر الحكيم عموما؟؟

- هل يمتنع تبادل "الفاء" و"الواو" مواقعيهما في السورة الشريفة أو في غيرها من الذكر الحكيم لغةً وبلاغةً كما يمتنع ديانةً وعقيدةً؟؟

ما الأدلة السياقية والمقامية وما الإشارات المعنوية المقنعة والممتعة على استيجاب كل موضع من تلك المواضع ما اقتضاه من "الفاء" أو "الواو" حيث اقترنتا بـ "**لمَّا**" في السورة الكريمة؟؟

ما الآثار الزمانية والنفسية لكل من "الفاء" و"الواو" في مواضع اقترانهما بـ "**لمَّا**" الحينية في السورة الكريمة؟؟

ولابد من فروق مقصودة كامنة وراء تناوب دخول "الفاء" و"الواو" على "**لمَّا**" حينيةً ظرفية مضمنة معنى الشرط كانت أو حرفية شرطية صريحة في الشرط- على اختلاف بين النحاة.

وقد أبصرت تلك الفروق من سنين مضتْ، لكنني تهيَّبْت وتوقفت عن الإقدام فترة طالت؛ لخطورة الأمر من جهة، وغموضه في الوقت ذاته من الجهة الأخرى، وكنت قد كتبت حينها قصاصات.

ولمَّا كان هذا البحث في إشارات معنوية دقيقة ودلالات ذوقية رقيقة لا يفصِح عنها الكلام، ولا تصرّح بها التراكيب، وليس لها قانون مطّرد مقطوع به- ولما كانت هذه الدلالات والإشارات محلَّ اختلاف لتباينٍ الأذواق والرؤى- بناء على تباين الثقافات واختلاف الأذواق- لما كان الأمر كذلك كان للباحث المتفحّص المتسمّع إلى أسرار التراكيب مندوحةٌ في إنكار المنكرين ممَّن لم تكتمل لديهم الأدوات. وقديما قرّر الإمام عبد القاهر "أَنّ ممَّا أَغمضَ الطريقَ إِلى معرفَةِ ما نحنُ بصدده، أَنَّ ههنا فروقاً خفيَّةً تَجهلُها العامَّةُ وكثيرٌ من الخاصة، ليس أَنَّهم يَجْهلونَها في موضعٍ ويَعْرفونها في آخرَ، بل لا يَدْرون أَنها هي، ولا يَعْلمونها في جملةٍ ولا تفْصيل"(١).

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني ص٣١٥، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، ت. محمود محمد شاكر أبو فهر، ط.٣مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

أما المنهج المُتَّبَع

في هذا البحث فهو المنهج التحليليّ، المتمثّل في نظريّة "النَّظْم"، تلك التي رآها الإمامُ عبد القاهر المفتاحَ الأنسب لفكِّ أسرار النصوص العربية الأصيلة، إذ يقف الباحث إزاءَ الخصيصة التركيبية في سياقها ومقامها، يُسائلها عما تنطوي عليه من أسرار، وما تنشُره من أنوار.

وقد توفرت الدراسة على التماس الإشارات الكامنة في "الفاء" و"الواو" الداخلتين على "**لمّا**" الحينية- في السورة الكريمة- دون الانشغال عن ذلك أو الاستطراد عنه إلى غيره- إلا بقدْر ما يخدمه- لتتمحَّض الدراسةُ للكشف عن الدلالات المطوية.

وقد اقتضت الضرورة البحثية ضَمَّ الشبيه من مشاهد الأحداث إلى الشبيه؛ لعقد الموازنات البلاغية الكاشفة عن الدقائق الدلالية الكامنة بينها عن قرب.

وأما خطة الدراسة

فقد اقتضت طبيعة البحث تصنيَفه إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي:

المقدمـــة: وفيها نُبْذة عن أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطة التصنيف.

التمهيـــد: وينهض ببيان مُوجز لمعاني "الفاء" و"الواو"، ومفهوم "**لمَّا**"

المبحث الأول: الأثَرُ البَلَاغِيُّ (الزَّمَنِيُّ وَالنَّفْسِيُّ) لِـ "الْفَاءِ" الدَّاخِلَةِ عَلَى "لَمَّا الحِينِيَّةِ" فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام.

المبحث الثاني: الأثَرُ البَلَاغِيُّ (الزَّمَنِيُّ وَالنَّفْسِيُّ) لِـ "الوَاوِ" الدَّاخِلَةِ عَلَى "لَمَّا الحِينِيَّةِ" فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام.

الخاتمـــة: وفيها إجمالٌ للملحوظات والخلاصات التي أسفر عنها البحث.

فهـــارس: الآيات، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

والله تعالى من وراء القصد، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل

مساء يوم الأحد ٢٢/١٠/١٤٤١هـ.

* * *

التمهيـــد

يفهم من كلام أهل اللغة أن "الفاء" حرف مَرِن الدلالة، ثريّ الإيحاء، يتلوّن مع المقامات، فيفيد واحدا أو أكثر من معاني: "الترتيب والتعقيب"[(١)]، العطف، السببية، الترتيب الذكري، الاستئناف، التفسير، التفريع، وغير ذلك[(٢)]. وبالترتيب والتعقيب في العطف بـ "الفاء" تتحدّد أبرز ملامح المعاني والأحداث المعطوفة بها في سياقاتها المختلفة، وتتجلّى حواشيها.

وجاء البلاغيون واستثمروا تلك الدلالة الكامنة في "الفاء"، واستنطقوها في مظانّها من النصوص البليغة خيرَ استنطاق، فإذا هي من الروعة بمكان، إذ تطوي وتنشر- في الوقت نفسه- دلالاتٍ سياقيةً متكاثفة وجليلة- على غرار ما سيأتي لاحقا- إن شاء الله تعالى- في تحليل مواضعها من سورة يوسف عليه السلام [(٣)].

كذلك يفهم من كلام أهل اللغة أن "الواو" حرفٌ ثريّ العطاءات؛ فقد يأتي للعطف، أو الاستئناف، أو القسم، أو المعية، أو غيرها من دلالات(٤)،

---

(١) ومعنى الترتيب: مجيء المعطوف بعد المعطوف عليه، ومعنى التعقيب: وقوع المعطوف عقب المعطوف عليه بلا مهلة. وهو في كل شيء بحسبه. يراجع: تعجيل الندى بشرح قطر الندى، لعبد الله بن صالح بن عبد الله الفوزان، الشاملة.

(٢) ينظر: دراسات لأساليب القرآن الكريم ٢/٢٢٢-٢٧١ محمد عبد الخالق عضيمة ط. دار الحديث القاهرة د.ت.

(٣) ينظر: مبحث "الفاء" من هذا البحث

(٤) يراجع: دراسات لأساليب القرآن الكريم ٣/٤٩٠ وما بعدها.

غير أنه حين يكون للعطف لا يفيد معنىً آخر سوى التشريك في الحكم- أي تشريك المعطوف بها بعدها مع المعطوف عليه قبلها في حُكمه الإعرابي- الذي هو في الأصل دلالة معنوية-؛ لذلك شُغِل البلاغيون بـ "الواو" طويلا، وبدأوا من حيث انتهى النحاة واللغويون، فعقدوا لـ "الواو"- من بين حروف العطف بخاصة- بابا مستقلا يتوفر على بحث أسرارها إثباتا وإسقاطا، ووفّقوا أيما توفيق في ضبط مواضع العطف وترك العطف بها في الكلام البليغ(١).

هذا، وقد قال بعض النحاة صراحة بجواز نيابة "ثمّ" مناب "الواو" في مجرد التشريك في الحكم، قال المرادي: "وذهب الفراء، فيما حكاه عنه السيرافي، والأخفش، وقطرب، فيما حكاه أبو محمد عبد المنعم بن الفرس في مسائله الخلافيات عنه، إلى أن "ثم" بمنزلة "الواو" لا ترتّب، ومنه عندهم ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ۚ ﴿٦﴾ ﴾، ومعلوم أن هذا الجعل كان قبل خلقنا"(٢).

كما فهم بعض النحاة جواز استعمال "الواو" في معاني "ثمَّ"؛ بحيث تفيد الترتيب والتراخي، قال ابن هشام "وَيجوز أَن يكون بَين متعاطفيها تقَارب أَو

(١) ينظر مبحث "الفصل والوصل" في مصنفات البلاغيين.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني ٤٢٧. لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) ت. د فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

تراخ نَحْوُ ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾؛ فَإِن الرَّد بُعيد إلقائه فِي اليمّ، والإرسال على رَأس أَرْبَعِينَ سنة"(١).

وأقول: لا أرى القصد من "الواو" هنا ناظرا إلى التراخي مطلقا- وإن كان السياق يحتمله-؛ وإلا لجاءت "ثمّ" الأصيلة في ذلك صراحة، بل القصد إلى مطلق الجمع، والقذف بذلك كله جملة في نفس ام موسى؛ لأن الخطاب إليها هنا بصدد تطمينها، وتعداد النعم، ومكاثرة البشائر عليها، وتطمينها إلى كونها أيضا بشائر لها في ابنها، وعلى ابنها الرضيع؛ فعليها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ ، وعليه: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، والنظر إلى دلالة التراخي يتناقض مع الغرض الهادف إلى تحقيق ذلك في نفسها جملة واحدة، تأكيدا على غرس السكينة وتقرير الأمان في نفسها بهذا الصدد، والله أعلم.

وعلى أية حال فهذا البحث المتواضع يبصر في "الواو" دلالة التراخي، ويجدّ في استنطاق "الواو" بتلك الدلالة- وبدلالة الترتيب بالضرورة- في مواضع اقتراها بـ "**لمّا**" في سورة يوسف عليه السلام، ويرى أنه يدعم ذلك عقلا ومنطقا ورود "الواو" في مواضعها مع "**لمَّا**" في سورة يوسف عليه السلام بإزاء ورود "الفاء" حيث وردت معها دلالة وزمانا، فإذا كانت "الفاء" للتعقيب والإشعار بالنشاط

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٤٦٣/١، ٤٦٤. لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ت. د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ط.٦ دار الفكر- دمشق ١٩٨٥م.

النفسي- والتعقيب في كل موضع بحسبه(١)- فـ "الواو" تفيد الدلالة المقابِلة لدلالة "الفاء" وتلك هي دلالة "التراخي" والهدوء أو الفتور النفسي، والله أعلم.

أما "**لمَّا**" فقد اختلف النحاة فيها على قولين معتبرَين: الأول: كونها ظرفَ زمان، الثاني: كونها حرفا، ومنهم من قيّد كونَها حرفا بإشعارها بالعِلّيّة، أي كون شرطها علَّة في وجود جوابها، فمتى افتقدتْ ذلك الإشعار فلا سبيل لها إلى الحرفيَّة، وستكون حينئذ ظرفا لا محالة، ولكلٍّ اجتهادُه وأدلته ووجهته، ولا يهمنا تفصيل ذلك هنا، إذ لا يُبنى عليه فوارق جليلة بلاغية عندنا.

قال المرادي: "(**لمّا**) التعليقية. وهي حرف وجوب لوجوب، وبعضهم يقول: حرف وجود لوجود، بالدال. والمعنى قريب، وفيها مذهبان: أحدهما: أنها حرف- وهو مذهب سيبويه-، والثاني: ظرف بمعنى حين- وهو مذهب أبي علي الفارسي- وجمع ابن مالك في التسهيل بين المذهبين، فقال: إذا ولي "**لمَّا**" فعلٌ ماض لفظاً ومعنى فهي ظرف بمعنى "إذ"، **فيه معنى الشرط**، أو حرف يقتضي فيما مضى وجوباً لوجوب، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه. و"**لمَّا**

" لا يليها إلا ماضي اللفظ والمعنى، أو مضارع منفي بـ "لم". والله أعلم"(٢).

فالمجمع عليه في طبيعة "**لمَّا**" أنها دائما **مشربة معنى الشرط**، بدليل حاجتها إلى فعلين: أحدهما الشرط والثاني الجواب، غير أن جوابها أحيانا يتحقُّق فوريا

---

(١) قال المرادي "قال بعضهم: تعقيب كل شيء بحسبه، فإذا قلت: دخلت مصر فمكة، أفادت التعقيب على الوجه الذي يمكن" الجنى الداني ص ٦٢.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، ٥٩٢/١، ٥٩٣.

عقب الشرط بلا فاصل، وأحيانا يتأخر زمنا يطول أو يقصر، قال شارح التسهيل في الآية الكريمة ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴿٥٩﴾ ﴾(١): "إن المراد أنهم هلكوا بسبب ظلمهم، لا أنهم أهلكوا حين ظلمهم، لأن الهلاك **متأخر عنه**(٢)"- هذا خلاصة كلام النحاة- رحمهم الله تعالى- في "**لمَّا**". وربما خدم البحثُ في دور حرف العطف المقترن بها- فاءً كان أو واوا- في دعم القول بذلك التحقق الفوري أو ذلك التباطؤ الزمني لجواب "**لمَّا**" عن شرطها.

قال ابن عاشور: "**لَمَّا**" أداة ربط "تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الِارْتِبَاطِ بَيْنَ شَرْطِهَا وَجَوَابِهَا، فَلِذَلِكَ يَكْثُرُ أَنْ يَكُونَ عِلَّةً فِي حُصُولِ جَوَابِهَا"(٣). ومعنى ذلك أن "**لمَّا**" توثّق **الارتباط**- الزمني أو- السببي بين الشرط والجواب على كل حال، سواء أكانا متصلين أو منفصلين زمنا.

ولأن قضيتنا تتعلق بـ "الفاء" و"الواو" وإشاراتهما المعنوية المنبثقة من **السرعة أو التباطؤ** في الأحداث، وما تجود به كلّ في مقامها وسياقها- من ترجمة **الآثار النفسية للأشخاص** المحكيّ عنهم (أبطال الحدث) والمواقف المعالجّة- لذلك

---

(١) سورة الكهف من الآية ٥٩.

(٢) شرح تسهيل الفوائد ٤/ ١٠٢ لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، ت. د/عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط.١ هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٩١/٩ لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط. الدار التونسية للنشر- تونس١٩٨٤هـ.

لن نتوقف طويلا مع "**لمَّا**"، ومن تاق إلى المزيد من تفاصيل القول فيها فليراجعها في مظانها المشار إليها في هوامشها هنا.

هذا، ولم تخلُ السورة الكريمة من استعمال "**ثُمَّ**" حيث اقتضاها الحدث واحتملها اللفظ؛ فقد وردت "**ثُمَّ**" في سورة يوسف عليه السلام في خمسة مواضع، غير أنها لم تقترن في أي منها بـ "**لمَّا**"- بل بالمراجعة المتأنية نجد أنه لم تقترن "**ثمَّ**" بـ "**لمَّا**" في الذكر الحكيم مطلقا، ولا في فصيح الكلام العربيّ؛ وربما كان ذلك لاختلاف طبيعتهما؛ لأن "**ثمّ**" تقتضي تراخيا لا تتسق معه دلالة "**لمَّا**" الحينية الرابطة بين شرطٍ وجوابٍ متصلين بلا مهلة- غالبا-.

ومواضع ورود "**ثمّ**" في سورة يوسف عليه السلام هي:

الموضع الأول:

في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾ (الآية ٣٥)، "ثم" هنا ليست للتراخي الزمني؛ لأنه لا يعقل تركُ اللغط في شرف العزيز فترة طويلة من الزمن تصلح لها "**ثم**"، فالمعروف في مثله السرعة في طيّ الفتنة، وكتْم الأصوات. وعلى ذلك فتراخيها هنا "معنويّ"، أي أنهم بعد تحقُّقهم من براءة يوسف عليه السلام وبعد تبيُّنهم تورُّطَ المرأة كان منهم هذا القرار.

الموضع الثاني والثالث:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الآيات: ٤٧-٤٩). الفترة الزمنية هنا متطاولة إلى أربع عشرة سنة وعام، ولا يصلح مع تلك الفترة المتطاولة سوى "ثم" المتفاعلة مع السياق والغرض؛ إذ السياق يعدّد سنين تبلغ عقدا ونصف العقد من الزمان، والغرضُ التحذيرُ من مجاعة تنتظر القوم تمتدّ إلى مساحة زمانية مترامية.

الموضع الرابع:

في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الآية٧٠)، التراخي المستفاد من "ثم" هنا تراخ معنويّ وزمنيّ، وذلك يتناغم دلالة وسياقا وغرضا مع التمويه الذي يكون في مثله، تركهم حتى "ارتحلوا، وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ومضوا ثمّ أمر بهم فأُدركوا وحُبسوا"(١).

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٣٩/٥ لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ت. الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة الأستاذ نظير الساعدي، ط.١ دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان١٤٢٢، هـ- ٢٠٠٢م.

إنه عليه السلام مَعنيٌّ بإنهاء المهمة (مهمة انتزاع أخيه منهم) بسرعة تؤذن بمشارفة النهاية السعيدة المرتقبة عنده، والسرعة هنا مستفادة من "الفاء" مع "**لمَّا**" كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى.

الموضع الخامس:

في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ ﴾ (من الآية٧٦). "ثم" هنا تفصح عن تمويه كبير أبداه الصِدّيق عليه السلام، لا عن تراخ زمنيّ بين بدئه بوعاء أخيه، وبين بدئه بأوعيتهم. غير أن الفترة لم تكن طويلة؛ وإلا فما إشارة "**الفاء**" في جملة ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾؟

وبعد، فأجدد التذكير بأن هذا البحث يجدّ في بيان أثر "الفاء" و"الواو" من جهتين: الأولى: **الإشعار بتغاير عنصر الزمن**- من الفورية والمباشَرة أو عكسها من الرخاوة والتباطؤ- بين شرط "**لمَّا**" وجوابها، وما بينهما وبين الحدث المعطوف عليه قبلهما. الثانية: ما يترتب على هذا وذاك من **آثار نفسية للأشخاص** معالجي الأحداث، وكلا الهدفين متحقق فعلا في "الفاء" و"الواو" الداخلتين على "**لمَّا**" الحينية كما سيتجلى إن شاء الله تعالى من خلال هذا البحث.

* * *

المبحث الأول

الأثَرُ البَلَاغِيُّ (الزَّمَنِيُّ وَالنَّفْسِيُّ) لِـ "لْفَاءِ" الدَّاخِلَةِ عَلَى "لَمَّا الحِينِيَّةِ" فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام.

ندرس في هذا المبحث طبائع الأحداث التي أُوثِرت "الفاء" دون "الواو" في الترجمة عنها، ومدى وفاء "الفاء" بحق تلك الأحداث من بيان السرعة الزمنية في سورة يوسف عليه السلام.

دخلت "الفاء" على "**لمَّا**" الحينية في سورة يوسف عليه السلام في ثلاثة عشر موضعا، تنشر "الفاء" فيها جميعا- كما هو طبعُها الأعمّ- دلالة المباشَرة والفوريّة، والسرعة الخاطفة في طيّ الزمن، فهي جارية في تلك المواضع على ظاهر دلالتها، حيث تشعر بتوالي الأحداث المعالَجة وتتابُعها في إلماحٍ مقصود واضح جليّ، دعما للمعاني والأغراض المباشِرة، واتّساقا مع السياق، وتآزرا وانسجاما مع دلالة "**لمّا**"، فتلفت إلى إشارات بلاغية بارعة بالغة القيمة في تلك المواضع كما سيتجلى- إن شاء الله تعالى. فإلى:

* * *

الموضع الأول: قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾ (١٥).

وردت هذه الآية عقيب الحوار الذي دار بين إخوة يوسف وبين أبيهم يعقوب عليه السلام، وفور الانتهاء إلى موافقة أبيهم على خروجهم بيوسف عليه السلام- وإن كانت موافقة على مضض-؛ فالآية "تَفْرِيعُ حِكَايَةِ الذَّهَابِ بِهِ وَالْعَزْمِ عَلَى إِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ عَلَى حِكَايَةِ الْمُحَاوَرَةِ بَيْنَ يَعْقُوب عليه السلام وَبَنِيهِ. يُؤْذِنُ بِجُمَلٍ مَحْذُوفَةٍ فِيهَا ذِكْرُ أَنَّهُمْ أَلَحُّوا عَلَى يَعْقُوبَ عليه السلام حَتَّى أَقْنَعُوهُ فَأَذِنَ لِيُوسُفَ عليه السلام بِالْخُرُوجِ مَعَهُمْ"(١)، وقيل: "الفاء عاطفة والجملة معطوفة على محذوف يفهم من سياق القصة تقديره فأرسله معهم"(٢)، وقيل: "الفاء استئنافية"(٣).

و"المعنى: أنهم حين انطلقوا بيوسف بعد أن أخذوه من أبيهم، وأجمعوا رأيهم على أن يضعوه في الجبّ، وأن يتركوه لمصيره، كانت عناية الله معه، فحفظه الله من الشرّ الذي دفعوا به إليه. ثم صحبته عناية الله وحفّت به ألطافه. وأوحى

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣٣/١٢.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤٦١/٤ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ط.٤ دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص- سورية، (دار اليمامة- دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت١٤١٥هـ.

(٣) إعراب القرآن الكريم ٨١/٢ لأحمد عبيد الدعاس وآخرين ط.١ دار المنير ودار الفارابي- دمشق١٤٢٥هـ.

الله سبحانه وتعالى إليه أنه سيلتقي بإخوته يوما، وأنه سيخبرهم بهذا الذي كان منهم دون أن يعرفوه"(١).

وبإنعام النظر نجد السياق ناطقا بشغفهم بتلك الموافقة، ومفصحا بانشغال نفوسهم بقضية الخلاص من أخيهم الذي يوليه أبوه مكانة خاصة- حسبما يستشعرون-، وكأنها صارت قضية القضايا في حياتهم الراهنة، فلا قضية لديهم سواها. واتساقا مع توتر السياق وحرص إخوة يوسف على سرعة التنفيذ- وقد ظفروا بالموافقة وواتتهم الفرصة- طُوِي جواب "**لَمَّا**" فلم يذكر- على الرأي الأرجح- إضافة إلى طيّ جملة جمل قبل الفاء-كما أوضح التحرير والتنوير وإعراب القرآن سابقا.

وندرك إشارات "الفاء" التي ترسل بها إلينا من داخل هذا المشهد الحرج، تلك الإشارات التي لا يمكن أن تلتقطها من "الواو"، وأبرع تلك الإشارات اللهفةُ التي سيطرت على إخوة يوسف عليه السلام، وامتلكت عليهم عقولهم وقلوبهم، وتأكُّد رغبتهم في سرعة التخلُّص من أخيهم في أقرب لحظة تُتاح.

فتآزُرًا مع تلك الحالة النفسية المترقّبة وفي ذلك الخضمّ الهائج من الأحاسيس المفعمة بالتوَق إلى الخلاص من أخيهم- تأتي "الفاء" الداخلة على "**لَمَّا**" في جملة (فلما ذهبوا به) دون "الواو"، فتأتي متسقة مع السياق والمقام والغرض؛ متآزرة العطاء مع الدلالات المتكاثفة؛ ذلك أن رائحة الفورية والمباشَرة الكامنة

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٢٤٤/٦ لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، ط. دار الفكر العربي- القاهرة د. ت.

في "الفاء" تحكي لهفةَ إخوةِ يوسفَ عليه السلام إلى الخلاص من أخيهم، وتُفْصِح عن تَعَجُّلِهم إلى إخفائه من حياة أبيهم، وتفضح تَرَقُّبهم تلك اللحظة الحميمة التي يَسمح لهم فيها أبوهم بخروجهم بأخيهم يوسف عليه السلام بعيدا عن عينيه ليروا فيه رأيَهم المحتوم، وهو ما كان فورَ تواريهم عن أبيهم- كما قال السديّ(١)- رحمه الله تعالى.

واتساقا مع تسارع الأحداث ودعما للإبانة عن شغفهم ومسارعتهم في الأمر تجد السياق قد حذف جواب الأمر "أرسِلْه"، كما حذف جواب الشرط "لما ذهبوا به."، قال أبو حيان: "وَبَيْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَالْجُمَلِ الَّتِي قَبْلَهَا مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى تَقْدِيرُهُ: فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ يُوسُفَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَيْ: عَزَمُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى إلقائه في الجب."(٢)، وقد قدّر ابن جرير جواب الأمر: "فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ"(٣).

ووقوع الحذف قبل "الفاء" المقترنة بـ "**لَمَّا**" ظاهرة شبه مطّردة في الذكر الحكيم- بحسب ما راجعتُ-، ولا أقول "مطردة" لأني لم أستقص البحث فيها- ولم أر- على طول ما طوّفت- مَن التفت إلى ذلك الاطراد من المفسرين أو النحاة أو من استقصاه.

---

(١) تفسير الطبري ٥/٥٧٤

(٢) البحر المحيط في التفسير ٦/٢٤٨ لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ت. صدقي محمد جميل، ط. دار الفكر- بيروت ١٤٢٠هـ.

(٣) جامع البيان ١٣/٢٩.

وأسوق هنا لحذف ما عطف عليه بـ "الفاء" الداخلة على "**لمّا**" شواهد للاستئناس: من ذلك في سورة يوسف عليه السلام- وسيأتي قريبا إن شاء الله تعالى- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴿٩٩﴾ ﴾(٩٩)(١). قال في البحر المحيط: " فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: فَرَحَلَ يَعْقُوبُ بِأَهْلِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَارُوا حَتَّى تَلَقَّوْا يُوسُفَ. "(٢).

ومنه في غير سورة يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(٣). قال أبو حيان: "وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، أَيْ فَدَعَا مُوسَى، فَكُشِفَ فَلَمَّا كَشَفْنا"(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ ﴾(٥) قال الجمل: "في الكلام حذف تقديره: فسأل الله ذلك النبي فكتب عليهم القتال وبعث لهم ملكا ليقاتل بهم، فلما كتب."(٦).

---

(١) سورة يوسف الآية ٩٩.

(٢) البحر المحيط ٣٢٥/٦.

(٣) سورة الزخرف الآية ٥٠.

(٤) البحر المحيط ٣٨١/٩

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٦.

(٦) حاشية الجمل ٢٠١/١.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾(١)، قال في البحر "وَالْجُمْلَةِ قَبْلَهَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَجَاءَهُمُ التَّابُوتُ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْمُلْكِ، وَتَأَهَّبُوا لِلْخُرُوجِ، فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ "(٢).

وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣). قال الجمل: "الفاء عاطفة على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل: فأنشرها الله، وكساها لحما، فنظر إليها، فتبين له كيفية الإحياء، فلما تبين له قال."(٤).

أما جواب "فلما ذهبوا به"- في الشاهد محل الدراسة- فللعلماء في تقديره آراء عدة منها: "حفظناه"(٥)، و"فعلوا به ما فعلوا من الأذى"(٦)، و"عَرَّفْناه

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(٢) البحر المحيط ٥٨٥/٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٩.

(٤) حاشية الجمل ٢١٥/١.

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٥٢٩/١ لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت د.ت.

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤٤٩/٢، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط.٣ دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ؟

وأَوْصَلْنا إليه الطمأنينة"(١). و"جَعَلُوهُ فِيهَا"(٢)، "وهذا أَوْلَى لدلالة الكلام عليه"(٣).

ولا شك أن "لَمَّا" بطبعها المتسارع تنهض بمعونة "الفاء" بتصوير الإلقاء (جواب الشرط) كأنه قد صار في عداد المحقّق سلفا لحظة وقوع شرطه "الذهاب به"، إذ إن "لَمَّا" "حرف يدل على وقوع شيء عند وقوع غيره، فوقوع جوابها مقارن لوقوع شرطها، وذلك معنى قولهم: حرف وجود لوجود"(٤) و"الفاء" دعمت ذلك وقررته، بخلاف ما لو جاءت "الواو" التي لا تفصح بتلك السرعة.

واقرأ الآية بـ "الواو" بدلا من "الفاء" لتجدك قد افتقدت تلك الوثاقة الوثيقة للنظم، وتجدك وقد انحلّ في نفسك ترابط دلالاته، وفتر غرضه وماع معناه المرام: ولما ذهبوا به وأجمعوا، وكأن ذلك أتى بعد فترة لا حدود زمنية لها.

وإلى ذلك أفاد حَذْفُ الجواب- المفهومِ من السياق- وأتاح التعجِيلَ إلى الخبر التالي: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا﴾، والواو في جملة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٥٣/٦ لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ت. الدكتور أحمد محمد الخراط، ط. دار القلم، دمشق. د. ت.

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٤٢٧/١٨، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠هـ.

(٣) الدر المصون ٤٥٣/٦.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠٧/١.

إِلَيْهِ .﴾ هي التي تؤذن بطيّ جملة الجواب قبلها: (جعلوه في غيابة الجب)، والله أعلم.

ومن المفسرين من يرى أن جواب "لَمَّا" مذكور هو "أجمعوا"، قال ابن جرير: "أدخلت "الواو" في الجواب. والتقدير: فلما ذهبوا به أجمعوا"(١). وقال الثعلبي "هذه الواو مقحمة زائدة تقديره أوحينا، كقوله تعالى فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ أي ناديناه"(٢)، وذلك "عَلَى قَوْلِ الْكُوفِيِّينَ فَالْجَوَابُ." أَوْحَيْنا" وَالْوَاوُ مُقْحَمَةٌ، وَالْوَاوُ عِنْدَهُمْ تُزَادُ مَعَ لَمَّا وَحَتَّى"(٣). قال ابن عطية "وهو مردود لأنه ليس في القرآن شيء زائد لغير معنى"(٤)، وقال مكي بن أبي طالب: "والواو في (وأجمعوا) زائدة للتأكيد، وهو جواب "لَمَّا"(٥).

---

(١) جامع البيان ٣٠/١٣.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٩٩/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٤٢/٩ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ت. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢. دار الكتب المصرية– القاهرة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ت. عبد السلام عبد الشافي محمد ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٢هـ.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ٣٥١٢/٥ لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ت. مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-

وإذ لم يبين أحدهم وجه الزيادة ولا وجهة التأكيد المقصود- فإني أميل إلى رأي من يرى الجواب محذوفا؛ لأن "حَذْف الْجَوَابِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ دَلِيلًا عليه وهاهنا كَذَلِكَ"(١)، أما وجه حذف الجواب أن "الْكَلَامَ قَدْ طَالَ بِذِكْرِ الْمَعَاطِيفِ الَّتِي عُطِفَتْ عَلَى الْفِعْلِ وَذِكْرِ مُتَعَلَّقَاتِهَا بَعْدَ الْفِعْلِ الَّذِي يَلِي لَمَّا، فَلِذَلِكَ كَانَ الْحَذْفُ سَائِغًا لِاسْتِطَالَةِ الْكَلَامِ"(٢)، ثم إن "الْوَاو مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي لَا يَجُوزُ أَنْ تُزَادَ"(٣).

وهكذا ترى السياق يمور حركة، وتتماوج دلالاته عبر سياق رائع التصرُّف النظميّ، بَطَلَاهُ المتناغمان "الفاء" في جملة: (فلما ذهبوا به.) و"الواو" في الجملة التالية لها: (وأوحينا إليه لتنبئنهم.) والله تعالى أعلم.

* * *

جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط.١ بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٤٢٧/١٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير ١٢٩/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٠٤/١٥.

الموضع الثاني: قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

المقام هنا- كما ترى- مقامٌ وَجِلٌ متوتّر؛ إذ يتعلّق بالشرف- ناهيك عن شرف السيد العزيز وعرضه-، لذا كان من المناسب سرعة البتِّ في الفضيحة، وإصدار الحكم بناء على أساس مسبّقٍ وضعه شاهد- حاكم- من أهل المرأة: (إن كان قميصه قدّ من دبر. وإن كان قميصه قُدّ من قبل.).

وتصويرا لتلك السرعة المطلوبة جاءت "الفاء"- "العاطفة(١)، وقيل الاستئنافية"(٢)- متعانقة متآزرة مع "لَمَّا"، وملائمة للحدث بسرعتها متناغمة بدلالتها، معالجة للمقام بلهفتها، مصوّرة لصدقٍ أُلجِئَ إليه الشاهد- أو العزيز أو كلاهما-، إذ كان المفترض عندهم ترجُّح عِفة المرأة؛ لأنها عندهم عزيزة عفيفة شريفة، بخلاف غلامها الذي لا يُعرَف عندهم له أصل، ولا يوثق فيه- افتراضا- بِطُهْر شرفٍ ولا بِحُسْن خلق إذا قامت مثل تلك الخصومة.

يُلمِح حرفُ "الفاء" هنا بقوة إلى تلاحُق الأحداث من جهة، وإلى رغبةِ الجميع في وضع حدّ ينهي الأزمة ويطفئ الفضيحة من الجهة الأخرى.

وقد لا يتضح- عند الكثيرين- ما أرى- من تسارع عنصر الزمن- بـ "الفاء" إلا باستبدال "الفاء" بـ "الواو"- ولن تصح "الواو" هنا بحال؛ لأنها تَفتقد تلك الخصيصة الكامنة في "الفاء" من السرعة والفورية- واقرأ الآية- في غير القرآن

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٤/٤٧٥.

(٢) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٢/٨٥.

الكريم طبعا- بـ "الواو" لتبصر ذلك الذي أقوله جليا: ولما رأى قميصه قُدّ من دبر.، الآن تجد في الواو فتورا يُستسخف معه المعنى، ويَفكّ عُقدة الحَبْكة، ويهدر وَثاقة السياق.

وقد شغلني طويلا تقديمُ الشاهد احتمال براءة المرأة وتورُّط يوسف على احتمال براءة يوسف وتورّط المرأة، تلك الإشارة التي تُلتَمَس قطعا من ترتيب الاحتمالين في شهادة الشاهد؛ إذ لا يأتي في الذكر الحكيم ترتيبٌ أو خصيصة تأليفٍ كيفما اتُّفِق، بل لا بدّ من قَصْدٍ مقصود- رآه من رآه وغاب عمن غاب عنه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧﴾ (٢٧).

ومقدّما أقول: قد يُصحِّح ما تَبادر إليّ من كون الشاهد "رجلا ذا لحية"- كما يروي ابن جرير(١)- في أحد قولين ويرجّحه ابن الجوزيّ(٢)- قد يرجّح ذلك إشارتان بارعتان، تُبنَى ثانيتهما على أولاهما على الوجه التالي:

الإشارة الأولى: رغبةُ الشاهد- الحَكَم- في سرعةُ معاينةِ الأدلة، ولهفتُه إلى تبيُّن براءة المرأة، استبعادا لتورطها في مثل ذلك- فهي الحرة الشريفة، وربّة البيت المصون- وتوقُّعا لسقوط غلامها في الجريمة على عادة الواقع الأغلب في مثله.

(١) جامع البيان ٥٣/١٦ وما بعدها.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٤٢٣/٢ لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ت. عبد الرزاق المهدي، ط.١ دار الكتاب العربي– بيروت ١٤٢٢هـ.

ولا شك أن شأن المرأة يُهم الشاهدَ "فالشاهد- كما تصرح القصّة- "من أهلها"، وتتبُّع الشاهد وبحثه عن أدلة الإدانة لخصم المرأة- الصدّيق يوسف عليه السلام- دليلُ انحيازٍ وعدمُ نزاهة- في حكمه المرتقب، تجد ذلك مُغَلَّفا في تقديمه احتمالَ براءتها قبْلَ احتمال براءة يوسف عليه السلام في الذكر، إذ يقول أولا: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ - وكأن لسان حاله يقول: وذلك المتوقع-، ثم يتبعه: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ - وكأن لسان حاله يقول: وذلك المفترض-، ثم لما كانت المفاجأة التي ترجمتها الفاء: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ اضطُر- هو أو العزيز في روايتين- إلى النطق بالحُكم الحقّ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

وأستأنس لذلك بعبارة لابن عاشور- رحمه الله تعالى- تلمح إليه، يقول: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الشَّاهِدَ كَانَ يَظُنُّ صِدْقَهَا فَأَرَادَ أَنْ يُقِيمَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهَا فَوَقَعَ عَكْسُ ذَلِكَ كَرَامَةً لِيُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ-"(١). فمن أين التمس ابن عاشور ذلك إن لم يكن التمسه من تقديم الشاهد احتمالَ براءتها؟؟

الإشارة الثانية: تفاجُؤ(٢) الشاهد- الحَكَم- بثبوت دليل ما كان قد استبعده- بموجب تقديمه احتمال تورط يوسف عليه السلام-، وإذا بالحقيقة كما

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٢.

(٢) جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: "تفاجأَ بـ يتفاجأ تفاجُؤًا، فهو مُتفاجِئ، والمفعول مُتفاجأ به • تفاجأ فلانٌ بالأمر: مُطاوع فاجأَ: فُوجئ؛ بُغِت بما لم يكن يتوقّعه "تفاجأ الشّعبُ بتصريحات الحكومة- تفاجأ اللّصوص بوجود قوات الشرطة" ط.١ عالم الكتب ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.

حكم بها الشاهد- احتمالا ثانيا- ثابتةٌ، تتجلى ببراءة المتهم- يوسف الصديق عليه السلام.

وقد هُدِي الرازي رحمه الله تعالى إلى الاستدلال على كون الشاهد رجلا بالقيد بالصفة "من أهلها"، قال: "وَلَوْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ صَادِرًا عَنِ الصَّبِيِّ الَّذِي فِي الْمَهْدِ لَكَانَ قَوْلُهُ حُجَّةً قَاطِعَةً وَلَا يَتَفَاوَتُ الْحَالُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، وَبَيْنَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا وَحِينَئِذٍ لَا يَبْقَى لِهَذَا الْقَيْدِ أَثَرٌ"(١).

أما إن كان الشاهد "صبيًّا في المهد"(٢) كما يرجّحه أبو جعفر- في أحد القولين اللذين رواهما "للخبر المروي عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه ذَكَر مَن تكلّم في المهد، فذَكَر أنَّ أحدهم صاحبُ يوسف"(٣)- أقول: إن صحّ ذلك فقد يكون تقديم الصبي- الشاهدِ- احتمالَ براءةِ المرأة استدراجا من الله تعالى لهم نحوَ إكمال التحكيم ومعاينة الدليل، إذ الصبي في المهد لا ينطق من تلقائه، وإن "كان صبيًّا في الدار"(٤) و"من أهلها"- كما تصرح الآية الكريمة- زيادة في دمغ الدليل- أو حتى من غير أهلها- فإنه لا يتأتى منه ميلٌ نفسي إلى براءة المرأة وتورُّط الصديق عليه السلام حتى يقدّم هذا الاحتمال على ذلك، والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب- التفسير الكبير ١٨/٤٤٤.

(٢) جامع البيان ١٦/٥٣.

(٣) السابق ١٦/٥٩.

(٤) السابق ١٦/٥٥.

ولا أرى فرقا بلاغيا جوهريا بين أن يكون ذلك القول ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾، خبرا عن زوج المرأة، أو خبرا عن الشاهد(١)، إذ المفاجأة صادمة، والحسرة ملجمة على كل حال.

الموضع الثالث والرابع: قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ ﴾ (٣١).

لا زال السياق متوترا، ولا زالت الأحداث ملتهبة، ولا زالت أدخنة الفضائح تتصاعد من بيت المرأة، وتلفّع شرفها، وتُزكم حياتها، ولا تزال نِسوة الوَسط تتناقلنها، تضيف كلّ منهنّ حبكتَها، ويترامى مكرُهن إلى امرأةَ العزيز؛ فترتّب لهن مكرأ بمكر، وتوقعهن في مصيدة الاعتذار المدموغ، وتلجئهن إلى قبول الأعذار بإيقاعهن في نفس العذر. و"إنما سمَّي قولهنّ مكراً والله أعلم، لأن قولهن لم يكن على وجه النصيحة والنهي عن المنكر، ولكن كان على وجه الشماتة والتعيير"(٢)، أو لأنهن احتلن بهذه التهمة للوصول إلى رؤية يوسف عليه السلام كما تلمح بعض التفاسير.

لا شك أن ترامي خطيئة المرأة إلى أسماع النسوة وتناقلهن إياها على وجه المكر قد استثار غضبها فاستفزها سريعا إلى تلك الحيلة؛ فجاءت "الفاء"-

---

(١) ينظر: السابق ١٦/٦٠.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ٢/١٩٠.

"العاطفة(١)، وقيل: الاستئنافية(٢)"- متآزرة مع "لَمَّا"، مفصحة عن تلك السرعة، مترجِمة عن ذلك الغضب أبين ترجمة.

وقد ركّز السياق على إبراز مضرة المكر وخطورته وأثره المؤلم على المرأة عبر خصائص التراكيب، فعبّر بـ "لَمَّا" وذلك لِمَا تُضفيه من سرعة وقوع الجواب عقيب وقوع الشرط بلا تفكير، بل كأنه متصل به أو مرافق له في واقع الحال، وكأن هذه الإيحاءات لـ "لَمَّا" لم تفِ بالكشف عن إظهار سرعة المرأة وحرصها على تنفيذ خطتها وإسكات النسوة، حتى اقترنت بها "الفاء" لتتمّم ذلك البيان.

وهنا يتضح جليا أن غرض "الفاء" المقترنة بـ "لَمَّا" يتوجه إلى التركيز على طيّ الوقت الواقع بين الشرط والجواب بحيث يكون الوقت صفرا، وهكذا نجد "الفاء" بمثابة التوكيد المعنوي لـ "لَمَّا"، و"لَمَّا" بمثابة التوكيد المعنوي لـ "الفاء"؛ إذ إن كلا منهما تسعى نحو الهدف ذاته، فتتآزران على الإبانة عن لحاق الجواب بالشرط بلا فاصل زمني ألبتة- بغض النظر عن التعرض لزمن ما بين الشرط وما سبقه من تناقلهن وتلقّيهن الخبر.

وقد جاءت "الفاء" في هذه الآية الشريفة مرتين: أولاهما في مطلعها ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ وهي تتعلق بالمرأة- كما سبق- لتكشف تسارع الحدث، وثانيتهما في وسط الآية الكريمة ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ وهي تتعلق بالنسوة،

(١) إعراب القرآن وبيانه ٤/٤٨١.

(٢) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٢/٨٥.

وتكشف كذلك عن انعدام الوقت بين رؤيتهن يوسف عليه السلام وإعظامهن له وتقطيعهن أيديَهن؛ أثرا لحسنه وجماله عليهن.

انعدام الوقت بين الشرط والجواب هو ما حقّق المفاجأة المقصودة للسياق بـ "الفاء" دون "الواو" مع "**لمَّا**"، وقد تنبه صاحب التفسير الوسيط إلى ذلك حيث يقول: "وقد كان لهذه المفاجأة من يوسف لهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه أثرها الشديد في نفوسهن، وهذا ما حكاه القرآن الكريم في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ "(١)، وليس للمفاجأة مصدر في التركيب إلا "الفاء" كما ترى، والله أعلم.

واطرادا على ظاهرة حذف المعطوف عليه بـ "الفاء" الداخلة على "**لمَّا**" تأتي جملة (فلما سمعت بمكرهن أرسلت.)؛ إذ إن "التقدير: قالت امرأة العزيز ليوسف اخرج عليهن، فخرج عليهن وهن على تلك الحالة، فلما رأينه أكبرنه، أي: أعظمنه، ودُهِشن لهيئته، وجمال طلعته وحسْن شمائله"(٢)، وذلك ما يرجح كونها عاطفة لا استئنافية.

فالمرأة فور سماعها بمكرهن "أرسلت"، وهن فور رؤيتهن إياه "قطعن"، وذُهِلن عن سكاكينَ تقطّع وتُدمي لمجرد رؤية واحدة، فقد ثبت لديهن عذرُها

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢٥٣/٧ لمحمد سيد طنطاوي، ط.١ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة- يناير١٩٩٨.

(٢) السابق والصفحة.

في معاناتها ذلك سنين. فـ "الواو"- كما ترى- لا تصلح هنا بحال؛ لفتورها ولفقدانها عنصر السرعة والفورية المتَّسِمَة بهما "الفاء".

وهكذا تجد "الفاء" مع قرينتها "**لمَّا**" عروسَي المشهد، تتقدمهما واوات كأنها لهما وصيفات، وتلحقهما واوات كأنها لهما خادمات، وهما متفرّدتان لافتتان جاذبتان إلى المقصود بقوة تلائم جلال المشهد، والله تعالى أعلم.

الموضع الخامس: قال الله ﷻ:

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ ﴾ (٥٠).

كان ذلك المشهد على إثر تأويل يوسف عليه السلام رؤيا الملك، وقناعة الملك بقيمة هذا المؤوِّل الذي لا يعرفه بعدُ، وقناعة الملك كذلك بضرورة الإفادة منه.

ومن الإشارات الجليّة في السياق المباشر للأداة "**لمَّا**" هنا بيانُ أن تلك اللحظة (لحظة الخلاص والفرج) كانت مرتقَبَة من يوسف عليه السلام بشغف كبير؛ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ.﴾، فحقَّقتْ "**لمَّا**" اقترانَ لحظة وقوع الجواب "ارجع إلى ربك" بلحظة حصول الشرط "جاءه الرسول"، ولا يكون- عادة وعقلا- إلا مثلُ ذلك من السرعة وطيّ الزمن؛ فقد لبث عليه السلام في السجن بضع سنين، يعاني من صنوف المعاناة ما يعانيه السجين، والأدهى عليه عليه السلام أن سجنه المتطاوِل ذلك ما كان إلا ظلما كابده، فأتت "**لمَّا**" لتصوّر ذلك الاقتران بطيّ الزمن بين الجواب والشرط.

والظاهر البيّن- من اقتناص الصدّيق عليه السلام لتلك الفرصة المنتظَرة- أن الغاية لديه ليست الخروجَ من السجن والتحررَ من قيوده بقدر ما هي إظهار البراءة

من تلك التهمة المشينة التي رمته بها امرأة العزيز. فكان طلبه من الرسول الرجوع إلى الملك لسؤال النسوة عن إظهارهم دلائل براءته ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾. وتلك أمارة أخرى على براءة المظلوم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ»(١)، وقد التمس الزمخشري هنا لمحا بديعا قال "وفيه دليل على أنّ الاجتهاد في نفي التُّهَم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها"(٢).

ولا شك أن الأنسب من أداتي العطف المتاحتين مع "**لمَّا**" هنا إنما هي "الفاء" لا "الواو"؛ لأن "الفاء" تتآزر مع "**لمَّا**" في الإفصاح بقوة عن اللهفة النفسية إلى تُحقُّق الغاية المنتظرة من ذلك الخلاص، كما تُلمح إلى تلاحق الحدث اللاحق لها على السابق عليها.

"الفاء"- هنا عاطفة(٣)- متّسقة مع الحدث واللحظة أتم اتساق؛ حيث تصوّر الواقع الزمني المتعطّش المتلهّف إلى إظهار البراءة، وتشفي غليله عليه السلام من أعباء نفسية تراكمت بفعل سجنه ظلما على أعين الجميع. وأعد التلاوة بـ

---

(١) رواه الإمام البخاري برقم ٦٩٩٢، بَابُ رُؤْيَا أَهْلِ السُّجُونِ وَالفَسَادِ وَالشِّرْكِ الكتاب: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، ت. حمد زهير بن ناصر الناصر، ط.١ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ١٤٢٢هـ.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤٧٧/٢.

(٣) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٦/٥، إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٢/٢.

"الفاء": ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ.﴾ لتتأكد لديك الدلالة وتتجلى الإشارة. ثم استبدل "الفاء" بـ "الواو" في غير التلاوة الشريفة طبعا-: ولما جاءه الرسول. لترى الفتور الذي يذهب بتلك الإشارة ويحل عقدة الحبكة القصصية المتينة الرائعة.

واطرادا على ظاهرة حذف المعطوف عليه بـ "الفاء" الداخلة على "**لمَّا**" تأتي "الفاء" هنا طاوية جملة جمل قبيلها؛ قال ابن عطية "في تضاعيف هذه الآية محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها، والمعنى هنا:. وقال ائْتُونِي بِهِ، فلما وصل الرسول في إخراجه إليه، وقال: إن الملك قد أمر بأن تخرج، قال له: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾."(١). ولذلك- أيضا- لا تتسق "الواو" في هذا الموضع.

الموضع السادس: قال الله ﷻ:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ (٥٥).

وردت هذه الآية الكريمة عقيب تمنُّعِ يوسف عليه السلام عن الخروج من السجن حتى يتأكد الملك(٢) من براءته بسؤال النسوة، ويؤثِر الذكرُ الحكيم في ذلك

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٢٥١.

(٢) "المراد بالملك هنا: الملك الأكبر، وليس العزيز على الرّأي الرّاجح، لطلب يوسف منه أن يجعله على خزائن الأرض، ولأنه كان قبل ذلك خالصا للعزيز، والآن يريد الملك الأكبر (الرّيان بن الوليد) استخلاصه لنفسه" التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٣/٧ د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي ط.٢دار الفكر المعاصر- دمشق ١٤١٨هـ.

السياق المهمّ العطفَ بـ "الفاء"؛ ليكشف عبر تلك "الفاء"- العاطفة(١)، وقيل: الاستئنافية(٢)- في جملة "فَلَمَّا كَلَّمَهُ." عن بلوغ ثقة الملك درجة التمام في أمانة يوسف الصديق عليه السلام، إذ تُسهم "الفاء" في طيّ عنصر الزمن بين الأفعال الثلاثة، مذ أمَر الملك: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ مرورا بشرط "لمّا": ﴿كَلَّمَهُۥ﴾ ، وصولا إلى جوابها: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ ، والدليل الداعم لقصد الدلالة في "الفاء" بناءُ التركيب على حذف المعطوف عليه المقدّرِ قبلها بين أمر الملك وبين "الفاء" مع جملة مدخولها، والتقدير: "فجاء الرسول يوسف، وقال أجب الملك، فقام مودعا أهل السجن، داعيا لهم- لأنه كان مثابتهم وموضع ثقتهم، ثم لبس ثيابه، ودخل على الملك، فلما. إلخ"(٣)، فالأسلوب اقتضى التركيز كما ترى، فحذف جملة جمل؛ قفزا إلى الأهم، ولذلك- أيضا- لا تصلح هنا "الواو" الرخِيَّة بحال، بل ليس إلا "الفاء" كما ترى.

وتأمل شرط "لمّا"- مدخولةِ "الفاء"- تجده يصرّح بأن ما شدَه الملكَ من يوسف عليه السلام إنما هو اتزانُ عقله، وتنوعُ لغاته(٤)، ولم يَبهره حسنُ طلعته، ولا

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ١٢/٥.

(٢) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٣/٢.

(٣) إعراب القرآن وبيانه ١١/٥.

(٤) "كَانَ الْمَلِكُ يَتَكَلَّمُ بِسَبْعِينَ لِسَانًا فَكَلَّمَهُ بِهَا، فَأَجَابَهُ بِجَمِيعِهَا" البحر المحيط في التفسير ٣٩٠/٦، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٦٠٥/٢ لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، ت. أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة ١٤١٩هـ.

جمال منظره وأنه أنما قال له ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ **لا لما** رآه(١).

ف "الفاء" توحي بتتابع الأحداث، وتفصح عن قوة رغبة الملك في سرعة تكريم يوسف عليه السلام وتكريمه وتعويضه عما ناله، ووضعه في المكان والمكانة الأنسب له.

الموضع السابع: قال الله جل جلاله:

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ لَدَيْنَا (٦٣).

تأتي هذه الآية الشريفة في مطلع مشهد حيٍّ ثائر الإحساس، حيث رجوع إخوة يوسف بعد طول غياب في سفرِ جلْب الميرة، ولا شك أن شوق يعقوب عليه السلام لبنيه كبير؛ وبخاصة أنه فقد أحدهم منذ زمن، إضافة إلى استبشاره بما يجلبونه من مِيرة.

ومن الطبيعي أن يكون شوقهم هم أيضا إلى الأهل والأحباب فوّارا، غير أن إخوة يوسف عليه السلام أتوا يحملون همّا كبيرا، وتوجُّسا مفزعا من خطر المجاعة

---

(١) "لما دخل بعض العلماء على بعض الملوك، وكان دميما ضحك الملك من دمامته، فذكر له هذه الآية، واستحسن الملك جوابه، ومعنى هذا أن الملك لم يتمكن من قلبه لما رأى جمال صورته، بل لأجل علمه الذي تبين له لما كلمه" تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)١/١٥٥ للشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، ت. الدكتور محمد بلتاجي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية. د. ت.

المحتملة بموجب تهديد العزيز لهم: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ ؛ بحيث إنهم لم يهدأ لهم بالٌ فيستريحوا من عناء السفر أولا ثم يخبروا أباهم بهمّهم بعدُ، بل مباشرة شَكَوْا إلى أبيهم وَجَلَ نفوسهم، فترجم النظم الكريم ذلك من خلال إيثار "الفاء"- العاطفة(١)- دخولا على "لما"، والسياق يوجّه دلالة "لمّا" مع شرطها "رجعوا" إلى معنى "فور رجوعهم"، وتلك الفورية إنما تلائمها "الفاء" كما جاء عليه النظم الكريم دون "الواو"، والله أعلم.

وكأني بإخوة يوسف عليه السلام- إضافة إلى توترهم ووجلهم ذلك- قد قصدوا قصدا إلى استثمار ذلك- المنع المحتمل- فورَ رجوعهم والموقفُ ملتهب- في خلخلة عزم أبيهم التمسك بأخيهم بنيامين وعدم انفكاكه عنه.

وعلى كثرة ما طوّفت في المصادر المختصة- تفسيرية وغيرها- لم أقع على شيء يتعلق بأسرار إيثار "الفاء" دون "الواو" دخولا على "لمَّا" الحينية- في مواضع اقترانهما في السورة الشريفة- لا في هذا الموضع ولا في غيره- لم أقع إلا على كلمات لسيد قطب يمكن الاستئناس بها، حيث انتبه إلى أثر "الفاء" هنا فقال: "يبدو أنهم في دَخلتهم على أبيهم- وقبْل أن يَفكُّوا متاعهم- عاجلوه بأن الكيل قد تقرّر منعُه عنهم ما لم يأتوا عزيزَ مصر بأخيهم الصغير معهم. فهم يطلبون إليه أن يرسل معهم أخاهم الصغير؛ ليكتالوا له ولهم، وهم يعِدُون بحفظه"(٢).

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ١٧/٥، إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٥/٢.

(٢) في ظلال القرآن ٢٠١٦/٤.

ويقترب صاحب التفسير القرآني للقرآن من ذلك حين قال: "لقد كان الحديث الذي جرى بينهم وبين أبيهم أول شيء استقبلوه به، وذلك لأن العيون كانت متطلعة إلى ما يحملون معهم من زاد ومِيرة(١)، فكان جوابهم لهذه العيون المتطلعة قولهم: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ (٢).

فمن أين التمس صاحب الظلال ومن أين بدا له "أنهم في دَخْلَتهم على أبيهم- وقبْل أن يَفكُّوا متاعهم- عاجلوه"؟؟ قطعا من دعم "الفاء"، وليس من دلالة "**لمَّا**"؛ إذ لو كان من "**لمَّا**" **لمَا** قال: "يبدو"؛ لأن قانون "**لمَّا**" قاطعٌ باتصال جوابها بشرطها تلقائيا؛ فلا مقتضى لعدم الجزم حتى يقول: "يبدو"، ومن أين أخذ الخطيب أن ذلك كان "أول شيء استقبلوه به"؟ إنها إشارة "الفاء"، والله أعلم.

الموضع الثامن: قال الله ﷻ:

﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٦٦)

من الواضح الجليّ من سياق الأحداث وتتابُعها أن إخوة يوسف عليه السلام في هذا المشهد المتأزّم معنيّون بتطْمين أبيهم عن مصير أخيهم المطلوب من قِبَل العزيز، حريصون على انتزاع الإذْن من أبيهم لاصطحابهم أخاهم إلى العزيز- الذي لا يعرفون أنه يوسف عليه السلام- ليمتاروا وليجلبوا الطعام لأهليهم- إذ لا

(١) الميرة: وَالْمِيرَةُ- بِكَسْرِ الْمِيمِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ-: هِيَ الطَّعَامُ الْمَجْلُوبُ. التحرير والتنوير ١٣/١٧.
(٢) التفسير القرآني للقرآن ٧/١٦.

سبيل إلا ذلك-، وأبوهم يتحفّظ ويشتطّ في التحفُّظ مُحِقًا، ذاكرا ومذكرا إياهم بفعلتهم الشنيعة بأخيهم- يوسف عليه السلام-.

لكنْ لما "لم يجد يعقوب بدّا من التسليم بالأمر الواقع بعد أن أخذ عليه أبناؤه كل سبيل"(١)، ولما "لَمْ يَجِدْ بُدًّا مَنْ بَعْثِهِمْ لِأَجْلِ الْمِيرَةِ، الَّتِي لَا غنى لهم عنها"(٢)- تخلخل موقفه المتشدّد، ولاحت منه بوادر الموافقة، والمنطقُ حينئذ يقتضي السرعة في استثمارهم ذلك التخلخُل، والبناء على تلك البوادر، دون ترك الفرصة للتراجع؛ فأعطوه "عهدهم وحلفوا له"(٣).

ولدعم دلالة تلك السرعة الخاطفة يطوي السياق ذلك الحدث المهم، وهو "آتوه موثقهم"، ليقفز إلى ما ترتب عليه وهو الأهم لديهم؛ لأنه تصريح بالموافقة التي جهدوا في انتزاعها: (فلما آتوه موثقهم قال .).

وهكذا تجد "**الفاء**"- العاطفة(٤)- هي الأجدر بالانسجام والاتساق مع الحذف- كما سبق القول باطراده- ويتجلى أثرها في دعم طيّ الزمن، وترجمة الحالة النفسية المتحفّزة.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٨/٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٩٩/٤ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ت. سامي بن محمد سلامة، ط.٢ دار طيبة للنشر والتوزيع١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٦١١/٢ لابن عجيبة.

(٤) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٢٠/٥، إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٦/٢.

والزمن المطلوب الإيحاء بطيّه هنا هو زمن **الحدث السابق على "الفاء"**، المطوي أيضا قبلها من السياق، فيتسق حذفُه معها اتساقا بارعا؛ ذلك لأن "الفاء" عنصر لغوي نشِط في الإفصاح عن تلك الفورية السريعةُ الإيقاع، لا "الواو" الهادئة السرعةِ، الرخيّةُ النفَس. وذلك ما آثره النظم الكريم، فقال تعالى: (فلما آتوه موثقهم قالوا.) فورا وبلا أدني مهلة، والله تعالى أعلم.

الموضع التاسع: قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٧٠).

بحسب منهج البحث قد أرجأت تحليل دلالة "الفاء" في هذا الموضع ليُضَمّ إلى شبيهه في المبحث الثاني الداخلة فيه "الواو" على "**لمَّا**"؛ لعقد الموازنة الكاشفة هناك؛ ليتجلى ما بينهما من فوارق عن قرب، فليراجع في مظنته(١).

الموضع العاشر: قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٨٠).

المشهد هنا يمثل لحظةً حرجة وفارقة في نفوس إخوةِ الصدّيق عليه السلام، بل في حياتهم كلِّها، كما مثَّل- سابقا- مشهدُ التفريط في يوسف عليه السلام؛ ففي كليهما تفريط في أخٍ له عند أبيهم عناية خاصة، وفي المشهدين يحذرهم أبوهم من التفريط في كل منهما، وها هو ما حذّرهم منه يقع للمرة الثانية فعلا، وإن كان

(١) يراجع ص ٣٤ من البحث.

في الأولى بِرغبتهم وغايتهم وفي الثانية رغما عنهم وعلى غير رضاهم فالنتيجة واحدة.

وها هم قد فقدوا الأمل وما عاد لديهم أيّ احتمالٍ يلوح منه استنقاذ أخيهم أمانةِ أبيهم ووصيتِه. إنهم الآن قد يئسوا بل استيأسوا "وزيادة السين والتاء للمبالغة"(١)، "أي يئسوا من يوسف وإجابته لهم أشدَّ يأس بدِلالة صيغة الاستفعال"(٢)، وقد خاب أملهم في انتزاع أخيهم من بين يدي العزيز ولو باستبداله بأحدهم.

إنهم الآن أشدُّ ما يكونون عُرضةً للتهمة، وأقرب ما يكونون مرميً للشك!! فلا هدوء لروح ولا قرار لنفس ولا راحة لأبدان. وما هو إلا الفرَق والحزن والضيق والغمّ، ولا سبيل لهم إلا الفزع إلى تدبُّر الأمر والبحث عن مخرج، وأنى لهم ذلك؟؟

أفيكون- في تلك اللحظة المتأزّمة- عاطفٌ أنسبَ للإيحاء بذلك اللمح وعونا لـ "**لَمَّا**" من "الفاء"؟؟ لا شك أن الفاصل الزمني بين لحظة يأسهم من الملك وخلوصهم نجيا يساوي صفرا، فلا فاصل ولا مهلة، وكأني بهم فور اليأس مباشرة وقد انزووا إلى زاوية يتباحثون الأمر وقد تملكهم الفرَق والحزن.

---

(١) البيضاوي ١٧٣/٣

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٢٩٩/٤ لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت.

أتصلح هنا "الواو" بحال من الأحوال؟؟ قطعا لا يقبل السياق والمقام والغرض بـ "الواو"، بل ينبو بها الموضع أشد النُبُوّ، ولا تقرّ إلا "الفاء" التي آثرها النظم الكريم، وإن شئت التأكُّد فاقرأ- في غير القرآن الكريم- بـ "الواو" بدلا من "الفاء" لترى الغثاثة والكآبة وقد امتلكت عليك روحك.

الموضع الحادي عشر: قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ ﴾ (٨٨).

أرجئ تحليل عطاء "الفاء" في هذا الموضع؛ لأضمّه إلى الموضعين المتشابهين الواردين بـ "الواو" في المبحث الثاني؛ لعقد موازنة بينها جميعا هناك إن شاء الله تعالى؛ لتتضح الفروق البلاغية الدقيقة عن قرب.

الموضع الثاني عشر: قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ ﴾ (٩٦).

تروي كتب التفسير أن "يهوذا" أخا يوسف عليه السلام حمل القميص إلى أبيهم "وهو حافٍ حاسرٌ من مصر إلى كنعان- وبينهما مسيرةُ ثمانين فرسخاً"(١)، وأنه قال: "أنا ذهبتُ بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف

(١) الكشاف ٢/٥٠٣.

أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حيٌّ؛ فأفرحه كما أحزنته، فهو كان البشير"(١).

وذلك الخبر صريح في بيان الحالة النفسة لحاملِ القميص من الحرص على الإسراع في قطع المسافة وتقليل الزمن؛ وصولا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام؛ لإدخال البهجة والسرور عليه بجملة الأخبار السعيدة (وجود يوسف حيّا، وبلوغه مرتبة عزيز مصر، ووجود أخيه بنيامين معه سالما، وعودة بصره بهذا القميص المبارك- الذي يقال إنه من الجنة؛ حيث أتَى به جبريل إلى إبراهيم لحظة إلقائه في النار، ثم توارثه الأنبياء حتى كان مع يوسف تلك اللحظة(٢). فكانت "الفاء"-

(١) تفسير الطبري ٢٥٩/١٦.

(٢) "قال الضَّحَّاكُ: كَانَ ذَلِكَ الْقَمِيصُ مِنْ نَسْجِ الْجَنَّةِ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: أَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ قَمِيصَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْقَمِيصُ قَمِيصَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جُرِّدَ مِنْ ثِيَابِهِ وَأُلْقِيَ فِي النَّارِ عُرْيَانًا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِقَمِيصٍ مِنْ حَرِيرِ الْجَنَّةِ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ، فَكَانَ ذَلِكَ الْقَمِيصُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فلما مات [إبراهيم] وَرِثَهُ إِسْحَاقُ، فَلَمَّا مَاتَ وِرِثَهُ يَعْقُوبُ، فَلَمَّا شَبَّ يُوسُفُ جَعَلَ يَعْقُوبُ ذَلِكَ الْقَمِيصَ فِي قَصَبَةٍ وَسَدَّ رَأْسَهَا وَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ [فجعله حرزا] لِمَا كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ العين، وكان لَا يُفَارِقُهُ فَلَمَّا أُلْقِيَ فِي الْبِئْرِ عُرْيَانًا جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَى يُوسُفَ ذَلِكَ التَّعْوِيذُ فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ مِنْهُ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ، ففي ذلك الْوَقْتِ جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ له: أرسل إلى أبيك ذَلِكَ الْقَمِيصَ، فَإِنَّ فِيهِ رِيحَ الْجَنَّةِ لَا يَقَعُ عَلَى سَقِيمٍ ولا مبتلى إِلّا عوفي [لوقته]، فَدَفَعَ يُوسُفُ ذَلِكَ الْقَمِيصَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: أَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ". معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) ت. عبد الرزاق المهدي، ط.١ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٢٠هـ.

الاستئنافية(١)- بسرعتها وفوريَّتها- مع "لمّا" بطيّها الزمن بين الشرط والجواب- هي الأنسب لبيان تلاحق الأحداث وتتابع المواقف بسرعة خاطفة، ولن تلائم "الواو" ذلك المقام ولا ذلك السياق بحال.

ولعل النقل التالي من كتاب إعراب القرآن وبيانه يضيف دعما للمقصود، فسأنقله على طوله لبيان الحيثيات، ثم أقف مع اللمحة المطلوبة بالنظر والتدبر، قال: "﴿أَن﴾. زائدة للتوكيد. قال ابن هشام: ولا معنى لـ "أنْ" الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد، وقال ابن الأثير في المثل السائر: وأما قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ فإنه إذا نظر في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته منذ ألقوه في الجبّ وإلى أن جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثَمَّ إبطاءٌ بعيد- وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة- ولو لم يكن ثَمَّ مدة بعيدة وأمدٌ متطاول لمَا جيء بـ "أنْ" بعد "لمَّا" وقبل الفعل، بل كانت تكون الآية: فلما جاء البشير ألقاه على وجهه ، وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة لأنها ليست من شأنهم.

هذا، وقد ردّ الصلاح الصفديّ على ابن الأثير فقال: قلت: هذا من جناية إعجاب المرء بعقله؛ ألا تراه كيف يَتصوّر الخطأ صوابا؟ ثم أخذ يتبجّح أنه ظفِر بما لم يكن عند النحاة؟ ولو أنه نظر الى هذه "الفاء" عقيب ماذا وردت؟ هل هي عقيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴿١٥﴾﴾ والآيات المتعلقة بواقعة إلقائه الجب، أو وردت عقيب قوله تعالى ﴿ٱذْهَبُواْ

(١) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ١٠٥/٢.

بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ ﴿٩٦﴾﴾ لعلم ابن الأثير أنه لا تراخي بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لأن المدة إنما كانت بقدر المسافة التي تَوجه فيها البشير من مصر إلى أن وصل إلى أرض كنعان وهي مقام يعقوب عليه السلام، وقدْرُ مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوما وما حولها، ولهذا قال النحاة: إنها هنا زائدة، ولابن الأثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها في كتابي»(١).

أما البحث هنا فيرى أنّ رأي كليهما صواب- بغضّ النظر عن خلل عبارة ابن الأثير في الربط بين أول القصة وبين هذا المشهد، وإصابة الصفدي في الربط بين هذا المشهد والذي قبله مباشرة. فردُّ الصفديّ- صواب في أن المدة ليست ببعيدة بين الحدثين لتقتضي "أنْ"؛ إذا أخذنا الأمر على ظاهره؛ فما هي إلا أيام، وما هي إلا فراسخ. ونظر ابن الأثير صواب إذا نظرنا إلى المعاناة النفسية المتأزمّة التي يقاسيها يعقوب عليه السلام خلال تلك الأيام القليلة بين وجدانه ريح يوسف وبين مجيء البشير، فكأنها على نفسه- لشدة شوقه إلى يوسف عليه السلام- أعوام لا أيام، وهنا تبرز قيمة "أنْ" في جملة (فلما أن جاء البشير.)، ولو تصورنا تلك المعاناة وتمثلناها حقا لوجدناها كذلك متطاولة على ابنه يهوذا (البشير) الذي جاء مهرولا حافيا حاسرا يحمل القميص، يتمنى لو تمكن من

(١) إعراب القرآن وبيانه ٥/٥٨.

الطيران لِيَزُفّ إلى أبيه البشرى؛ فيكفّر عن نفسه خطيئتَه الماضية، ويظفر برضى أبيه. وعلى ذلك يكون كل من ابن الأثير والصفدي قد نظر من زاوية غير التي نظر منها الآخر، فيلتقيان على بيان أثر "الفاء" و"أنْ"، والله أعلم.

وبهذا التماوج الدلالي تتدلّل عناصر التركيب؛ فبينما تطوي "الفاء" زمان ما قبل "**لمّا**" وتطوي "**لمّا**" زمن ما بين الشرط والجواب- نجد "أنْ" بعد "**لمّا**" ترتخي بالزمن وتمدّده وتثقّله على يعقوب عليه السلام من جهة، وعلى يهوذا من الجهة الأخرى. وهذا- عندي- من أبرع وجوه الإعجاز القرآني الكريم. على أن القول بِطَيّ زمن ما قبل "الفاء" يجنح بها نحو العطف لا الاستئناف، والله تعالى أعلم.

الموضع الثالث عشر: قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (٩٩).

وهنا نوافي نهاية أحداث القصة المثيرة، المشحونة بالعبر والدروس، فتربط السورةُ الكريمة بين بداية القصة ونهايتها بحرف العطف(١) الخاطف "الفاء" الناطق بالفورية، المترجم لشوق النفوس، المفصح عن سرعة تتابع الأحداث التي قبلها والتي بعدها.

ما قبل "الفاء" رجوعُ أخيه بقميصه إلى أبيه، وإلقاؤه إياه على وجهه ورجوعه بصيرا، ولملمة القوم أشياءهم وانطلاقهم جميعا إليه عليه السلام.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٥/٥٥. وقيل: إنها للاستئناف. إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٢/١٠٥.

واطّرادا مع طبيعة "الفاء" من غلبة بناء ما بعدها على محذوفٍ قبلها- وهو ما يرجّح عاطفيّتها لا استئنافيّتها- واتساقا مع دلالتها وطبيعة ذوقها فـ "في العبارة حذف وإيجاز يفهم من سياق الكلام والمعنى- تفصيله بعد أن ذهب إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه بمكانة يوسف في مصر وأنه الحاكم المفوّض المستقل في أمرها- أبلغوه أنه يدعوهم كلّهم للإقامة معه فيها والتمتع بحضارتها فرحلوا حتى بلغوها- ولما دخلوا على يوسف"(١)، ولك أن تتصور قوما فَقدوا صبيَهم صغيرا، وبعد عقود من الزمان- حيث "قد أتى عليه أربعون سنة"(٢)- يتبين لهم أنه عزيز بلاد الخير والميرة، وأنه يطلبهم إلى جواره، وينتظرهم على الشوق- كيف تكون خِفّتهم نحوه ونشاطهم إليه؟؟ واندفاعهم ووصولهم إليه ودخولهم عليه؟؟ ومن جهته هو كيف يشتاق ويترقب لحظة الوصول والدخول؟؟ لقد استقبل أباه بشوق جارف، فـ "جعل كل واحد منهما يعْدو إلى الآخر فتعانقا وبكيا سرورا وبكت ملائكة السموات"(٣)، "فآواهما إليه بالضمّ، والاعتناق، وقرّبهما منه"(٤).

---

(١) تفسير المراغي ٤٢/١٣ لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ط.١شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٥٠/٢ لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، ت. عبد الله محمود شحاته ط.١ دار إحياء التراث- بيروت ١٤٢٣هـ.

(٣) روح البيان ٣١٩/٤ لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبي الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ط. دار الفكر – بيروت د.ت.

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ٢٠٦/٥ لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) ط. دار صادر- بيروت د.ت.

وما بعد "الفاء": آوى إليه أبويه وقال ادخلوا.، كيف تكون اللهفة وشوق الأحضان وبث ما في النفوس؟؟ أيكون استقبالٌ أسرعَ من ذلك وأخصر زمانا؟؟

قطعا لا يقبل المقام "الواو"؛ برخاوتها وفتورها، رخاوتها من حيث الزمان، وفتورها من حيث حرارة الشوق المنبعثة من النفوس المشتاقة الملتاعة- سواء في ذلك نفس يوسف عليه السلام، ونفوس أهله- أبويه وإخوته وذرياتهم أجمعين.

وإن شئت التبيُّنَ فاقرأ الآية بـ "الواو"- في غير القرآن الكريم- لترَ الفتور والارتخاء باديين، يَحلّان وثاقة التركيب، ويبطلان حرارة الشوق، ويهدران تلاحق الأحداث: ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه. أرأيت كيف بهَت الأسلوبُ، وضعُف المعنى، وتفكّكت عُقَد الأحداث؟؟ فسبحان من هذا كلامه!!!

* * *

المبحث الثاني

الأثَرُ البَلَاغِيُّ (الزَّمَنِيُّ وَالنَّفْسِيُّ) لِ "الوَاوِ" الدَّاخِلَةِ عَلَى "لَمَّا" الحِينِيَّةِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام.

سبق القول بأن "الواو" دخلت على "**لمَّا**" في سورة يوسف عليه السلام في ستة مواضع فقط، وهو أقل من نصف عدد دخول "الفاء" على "**لمَّا**" في السورة الكريمة، وذلك لأن "الفاء"- بما يكمن فيها من فورية ومباشَرة للأحداث التي بعدها بالأحداث التي قبلها- تلائم طبيعة القصة الحية المائجة بالأحداث الخطيرة والعجيبة، بخلاف "الواو" التي لا تكمن فيها تلك الفورية، بل فيها من الرخاوة والفتور ما ليس في "الفاء" مما تقتضيه بعض المشاهد في القصة العجيبة.

وسترى أنه من اللافت في مواضع اقتران "الواو" بـ "**لمَّا**" في السورة الشريفة أن "الواو" بارتخاء الزمن معها دون "الفاء" تسهم بقوة في ترجمة أوقات الاستقرار، والهدوء، والرخاء، والاسترخاء، والنعمة، والطمأنينة، والمجد، والسعادة، والسيادة، والمسؤولية اللذيذة، وما إليها مِن عِزٍّ، وعِزّة، وشَرافة، وكرامة، أو ترجمة خلافها من الفتور والحزن والكآبة وما إليها حيث وردت إجمالا، سواء كان ذلك في أحداث تتعلق بالصدّيق يوسف عليه السلام، أو بغيره- كما سيتضح إن شاء الله تعالى- ولن تقترن "الفاء" في شيء من ذلك بـ "**لمَّا**".

الموضع الأول: قال الله ﷻ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢٢).

السياق هنا يتحوّل من مشهد حياة الاستقرار الهادئ- حياة النعمة في قصر العزيز، حيث يطول بيوسف عليه السلام المقام في حِقبة أطولَ تمتدّ عدد سنين- يتحول إلى بلوغه سنّ الشدة والشباب، وتلقّيه أجمل هديّة وأجلّ عطية- عطية النبوة العظيمة.

تلحظ هنا أن "**لمّا**" في قوله تعالى ﴿﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ تنقلنا بمؤازرة "الواو"- الاستئنافية(١)- من حِقبة زمنية هادئة رخيّة إلى حدث جميل هادئ طيب، فلا غصاصة ولا غضاضة في أي منهما، وبالتالي لم يؤْثر النظم الكريم "الفاء"- التي تَعوّدنا معها على التقلُّب بين أحداثٍ جِسام يكون مكرُها شديدا ووطؤُها ضاغطا على يوسف عليه السلام.

هنا تأتي "الواو" خادمة في البيان عن تراخي عنصر الزمن وتطاوله في الحقبتين جميعا، وفي التحوّل من السابقة منهما إلى اللاحقة: حقبةِ الطفولة إلى الشباب واستقرار يوسف عليه السلام على رأس القوّة والفتوّة ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾، وحقبة

(١) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٨٢/٢.

التكليف بالرسالة ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾، مع اعتبار تطاول الأولى أكثر من الثانية عقلا وعادة ومنطقا.

ولما كان الجمع بين "ثُمَّ"- القائلة صراحة بالتراخي- وبين "لَمَّا" الحينية- القائلة صراحة باتصال مباشر لحدثين معبَّرٍ عنهما- بلا مهلة- "بجملتين وُجِدتْ ثانيتُهما عند وجود أولاهما"(١)- لما كان ذلك الجمع غيرَ منسجم كانت "الواو" هي البديلَ المتاح والعِوض المسموح لـ "ثم" في تصوير عنصر الزمن الرخيّ لتلك الأحداث المتباطئة؛ فقامت "الواو" مقام "ثُمَّ" كلما اقتضت الأحداث؛ فعاضت عن "ثمّ"، وإن لم يقصد إلى الإلماح إلى ذلك لاطّردت "الفاء" في المواضع كلها كما سبق القول.

ولما كانت "الواو" لمطلق الجمع- بغضّ النظر عن اعتبار الفورية أو التراخي، وكان لكل منهما أداته المختصة- كانت "الواو" بمثابة حلقة الوصل الأرحب، والوسيط الأكثر مرونة، الذي يسمح بترجمة المرونة الزمنية في الحدث ذاته، أو فيما بينه وبين سابقه؛ فتنهض بالإيحاء بترجمة رخاوة الزمن بإزاء تحقق الفورية المترجمة عنها "الفاء" في مواضع اقترانهما ب "لَمّا" الحينية من السورة الشريفة، والله تعالى أعلم.

وقد سبق القول بأنه باستقصاء مواضع "لَمّا" الحينية في الذكر الحكيم تبين أن "ثُمَّ" لم تدخل عليها، بل لم تقترن بها قطّ في الذكر الحكيم، وذلك يقرر أن المتنفَّس المتاح لا يتحقق إلا بـ "الواو" والله تعالى أعلم.

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٣٦٩/١.

لذلك لزم اقتران "الواو"- هنا- بـ "**لمَّا**" إلماحا إلى تطاول الفترة السابقة على حَدَثَي الشرط والجواب كليهما، وتصويرا لبلوغه أشده على مهل ورويّة وهدوء لا توتّر فيه ولا منغصات.

كما ألمحت "الواو" إلى عدم القَصْد إلى ربط جواب "**لمَّا**" بشرطها مباشرة، وإلا فهل يتأتّى في العقل أن القرآن الكريم قصد بـ "**لمَّا**" اتصالَ جوابها ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ بلحظة تحقُّق شرطها ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾؟؟ وأن إتيانه حكما وعلما حصل لحظة بلوغه أشده- لحظة بلوغه الحلم- من ليل أو نهار؟ تلك- عندي- سذاجة فَهمٍ تتنافى ومقصودَ القصة، ولا تتسق مع فوْح "الواو" هنا، والله أعلم.

ولو سلمنا بذلك- جدلا- لآثر الذكر الحكيم هنا "الفاءَ" دون "الواو"- والذكر الحكيم قد استعمل "الفاء" مع "**لمّا**" في أكثر من ضِعفي استعماله "الواو" في السورة الشريفة، ولم يكن بعيدا عن توظيفها- وحيث إنه لا حدّ زمنيًّا محدّدٌ مقصودٌ لبلوغ يوسف عليه السلام أشدَه- وهو فعل الشرط ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ - ليتصل به مباشرة جواب "**لمَّا**"- وهو (﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ - حيث ذلك لم يتسق لهذا السياق ولا لهذا لمقام إلا "الواو"، إلى أن من المفسرين من قال بأن يوسف عليه السلام نبّئ صغيرا(١)؛ فلم يبق إذن إلا التسليم بعطاء "الواو" القائل بعدم القصد إلى اقتران جواب "**لمَّا**" بشرطها زمنا، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٥٦/١٦.

وهنا نلتقط من "الواو" توجّها بالتراخي إلى المساحة الزمنية قبل "**لمَّا**" إضافة إلى توجُّهِها إلى تراخي المساحة الزمنية الواقعة بين جواب "**لمَّا**" وشرطها- وذلك على خلاف ما رأينا في المبحث السابق في "**الفاء**" من فورية الأحداث واتصالها.

الموضع الثاني: قال الله ﷻ:

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِ بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٦٠).

اقتضى البحث ضمَّ الموضع الثامن- من مواضع اقتران "الفاء" بـ "**لمَّا**"- وهي مادة المبحث الأول- إلى هذا الموضع الذي آثر النظم الكريم فيه اقترانَ "الواو" بـ "**لمَّا**"؛ وذلك لتشابههما في الحدث واختلافِهما في الأداة المقترنة بـ "**لمَّا**"، وبذلك القِران وبدراستهما في موضع واحد من البحث تتجلى- إن شاء الله تعالى- فروقُ الدلالات الزمنية والإشارات النفسية وقد حُشِدت جنبا إلى جنب، فإلى:

الموضع الثامن من مواضع "الفاء": قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٧٠).

هذا المشهد يأتي في ترتيب أحداث السورة الكريمة بعد الحدث السابق بـ "الواو"، والمشهدان يصوّران حدثين متشابهين، إذ كلاهما يحكي تجهيز يوسف عليه السلام إخوتَه عند خروجهم قافِلين إلى بلادهم. ومع ذلك يخالف النظم بينهما في خصيصة حرف العطف؛ وبإنعام النظر فيهما تتجلى الفروق بقوة، بحيث يتقرر اقتضاء كل موضع منهما لأداته المقترنة بـ "**لَمَّا**"، فتُرى ما السرُّ وراء المغايرة بين المشهدين حتى يقتضي النظمُ الشريف مع "**لَمَّا**" في المشهد الأول حرف "الواو"، بينما يقتضي المشهد الثاني معها "الفاء"؟؟

ويبدو من سياق الأحداث أن الإجابة واضحة لا تحتاج إلى فضل جهد ولا مزيد تحليل؛ ذلك أنه عليه السلام في **المشهد الأول** يتلطّف بإخوته ليجلبوا له أخاه البعيد عن يده؛ فلا يُظهر لهم اللهفة، ولا يبدي لهم أمارات الاحتشاد لكيلا يتوجسوا فيحتاطوا.

المقام إذن للتؤدة والأناة، ولن تنهض بذلك "الفاء" المختصة بالفورية والسرعة، ولا يصلح له إلا "الواو"–العاطفة(١)– بهدوئها وارتخاء الزمن وفتوره معها، لذا آثرها النظم الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ.﴾ وكأني بال "الواو" تهدِّئ من تسارع الأحداث بـ "**لَمَّا**" القاضية باتصال زمن شرطها

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٥/١٥، وإعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٢/٩٤.

بزمن جوابها، وتؤذن بفتور الأحداث وعدم الاكتراث، وتترجم عن تؤدة يوسف عليه السلام في اتخاذه تدابيره دون إبداء توتر أو استعجال. فبينما تقوم "**لمَّا**" بدور اتصال الشرط بالجواب، تقوم "الواو" بدور الهدوء المموِّه، ليتكامل الحدث على وجهه الأبرع بكلتيهما على التوازي.

إن يوسف عليه السلام معنيّ بإنجاز المهمة- مهمةِ جلب أخيه- حريص على تنفيذها بهدوء غير لافت، لأن أخاه عنه في بُعْد بعيد، فلا حيلة له إلا بالترفُّق في الأمر؛ لأنه عليه عليه السلام ليس في موضع المتمكّن القادر على التنفيذ الآن، فليس المقام إلا لـ "الواو".

أما في **المشهد الثاني** فالوضع مختلف تماما؛ إذ صار الأخُ المطلوب إلى جانب أخيه- الصدِّيقِ عليه السلام، وقد آن الأوان لفضّ اللحظة وإنهاء الموقف بضم أخيه إليه علنيّا وقطعيّا، بتثبيت القرار الذي رُسمت له الخطة، كما أنه عليه السلام هناَ تائق إلى الخلاص بالتنفيذ وقد تمكن؛ لذا آثر النظمُ الكريم "الفاءَ"- العاطفة(١) مع "**لمَّا**"؛ فجاءت "**الفاء**" متناغمة معها في طيّ الزمن؛ قفزا إلى المطلوب المرغوب: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ.﴾.

"الفاء" هي ما يفصح عن تلك الفورية الخاطفة مهما دلّت "**لمَّا**" على اقتران زمني الشرط والجواب، بدليل ضياع تلك الإشارة حال استبدال "الواو" من "الفاء" في غير القرآن الكريم- طبعا- استمع إليها: ولما جهزهم. تحسّ الفتور المستثقل، فالحال- إذن- ناطق بأنه لا مجال هنا للتباطؤ، ولا للهدوء الذي

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٢٥/٥. وقيل: الاستئنافية. إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٨/٢.

تلائمه "الواو"- التي لاءمت السياق السابق؛ لذا أُبعِدت من هنا، وليست إلا "الفاء" التي جاءت عليها التلاوة الكريمة، وسبحان من هذا كلامه!!

ولصاحب "إعراب القرآن وبيانه" إشارة موفقة في هذه "الفاء" نستأنس بها في الإجمال، ونستبعد توجيهها في التفصيل، يقول: "الفاء عاطفة للدلالة على رغبتهم الحثيثة بالسفر"(١)، نعم في "الفاء" رغبة حثيثة على السرعة والفورية- كما يجدّ البحث في بيانه-، لكنها رغبة العزيز يوسف عليه السلام في المقام الأول؛ فهو المعني بحسم الأمر وفضّ الموقف- كما رَجَح فيما سبق-، وكيف تكون لهم رغبة حثيثة في السفر دون أخيهم الذي انتُزع منهم؟!

ولو كان مشهدا التجهيز مستويين في الدلالات لعبَّر القرآن الكريم عنهما جميعا بـ "الفاء" أو حتى بـ "الواو"، وذلك لم يكن، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٥/٢٥.

الموضع الثالث: قال الله ﷻ:

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ ﴾ (٦٥).

بإنعام النظر في أثر "الواو"- الاستئنافية(١)- الداخلة على "**لمَّا**" الحينية في هذه الآية الكريمة عنصرا- وحيدا- يلفت إلى هدوء الأحداث وعدم تلاحقها، ويوحي بأن فتحهم متاعهم (الْأَوْعِيَةُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمِيرَة)(٢) قد تراخى برهة من الزمن؛ لأن عنايتهم وقتئذ ليست بالمتاع المجلوب، وإنما بالخطر المرتقب من الجهل بمصير أخيهم المطلوب، وقد التفت الأستاذ عبد الكريم الخطيب إلى هذه الإشارة المتعلقة بتأخرهم في فتح المتاع؛ فقال- بعد بيان الحديث الذي جرى بينهم وبين أبيهم- "ثم بعد هذا نظروا في أمتعتهم التي معهم، فوجدوا أن البضاعة التي كانوا قد حملوها معهم إلى مصر. قد ردّت إليهم"(٣).

فمن أين التمس الأستاذ الخطيب دلالة "ثمّ"- التي صرّح بها-، ومن أين أخذ الإشارة إلى البَعْدية في قوله: "ثم بعد هذا"؟؟ لا نجد لهذه الإشارة

---

(١) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٥/٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٢٢٣/٤ لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

(٣) التفسير القرآني للقرآن ١٦/٧.

مصدرا إلا "الواو" الداخلة على "**لمَّا**"؛ لأن "**لمّا**" تقضي باتصال جوابها بشرطها مباشرة، وذلك متناقض مع دلالة "ثم"- كما سبق القول.

كما يمكنك أن تلمح في هذه "الواو" فتورا روحيا وتباطؤا نفسيّا- لدى إخوة يوسف- عن فتحهم متاعهم؛ إذ إن نفسيتهم حزينة لوقوعهم في ذلك المأزق، فإما أن يذهبوا بأخيهم إلى العزيز- الذي لا يعرفون أنه يوسف عليه السلام- ولا يدرون ماذا ينتظر أخاهم هناك؟؟ وإما أن يرفضوا الذهاب بأخيهم، فيحرموا الميرة ويتعرضوا للمجاعة.

ف "الواو" في هذا الموضع تفصح- عن تينك الدلالتين: فتور الحالة النفسية، والتراخي الزمني بين الحدث الذي قبلها والذي بعدها- تفصح عنهما هنا على استواء منها في جميع المواضع المقترنة فيها بـ "**لمَّا**" الحينية في السورة الكريمة؛ ولو جاءت "الفاء" الرابطة بسرعتها ومباشَرتها مكانَ "الواو" لضاعت تلك الإشارات الدقيقة الرقيقة، والله أعلم.

الموضع الرابع والخامس: قال الله ﷻ:

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩ ﴾

كنت أرجأت الموضع الحادي عشر من مواضع "الفاء"- من المبحث الأول-؛ لعقد الموازنة البلاغية عن قرب هنا؛ لتتضح الفروق الكامنة بين سياقَي "الفاء" و"الواو" ومقاميهما مع تشابه الحدث في المشاهد الثلاثة، فإلى:

***

الموضع الحادي عشر من مواضع "الفاء": قال الله ﷻ:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٨٨).

جليٌّ أن الداخل في المشاهد الثلاثة هم إخوةُ يوسف عليه السلام، ولأن أزمان الدخول وحالات الداخلين مختلفة فقد اختلفت الأداة. فبينما جاء المشهد الأول والثاني بـ "الواو" جاء المشهد الثالث بـ "الفاء".

المشهد الأول دخولٌ مُوصًى بكيفيته من يعقوب عليه السلام لبنيه أن يدخلوا مصر "من السكك المتفرقة"(١)، حيث "خاف عليهم العين لأنهم أهل جمال وأُبَّهة"(٢)، فأراد "تَعْلِيمهُمُ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ"(٣)؛ ونَفّذ بنوه وصيته، فتفرقوا عند الدخول.

وكأني بتفرُّقهم- بما توحي به مادة التفرُّق من دلالة الانتشار والتباطؤ- يعبّئ في "الواو" الواردة في مطلع هذا المشهد ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾، ويصوّر الفتور والبطء المدعومين بالتوجسُّ مما هم مقبلون عليه من مجهولٍ- يتعلق بمصير أخيهم الذي طلبه الملك دون داعٍ واضح.

---

(١) بحر العلوم ٢٠٢/٢ للسمرقندي.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٦١٠/٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/١٣.

وكأني بال "الواو"- العاطفة هنا(١)- تنْبئ عن ألم النفوس، وتترجم طغيان الارتياب، وتنمُّ عن تمكُّن التوجُّس منهم؛ وكيف لا؟ وهذا أخوهم الثاني قد يفقدونه مرغمين بعد تفريطهم في أخيهم الأول- يوسف عليه السلام قاصدين؛ فستستحكم التهمةُ عليهم وتتلبّس ظِنَّة السوء بهم عند أبيهم هذه المرة بما لا يدع مجالا لعفو ومسامحة.

إنهم الآن يُقْدمون على العزيز- الذي لا يعرفون أنه أخوهم- بفتور هِمّة، وبدرجة يأسٍ مِن عودتهم بأخيهم من قبضته سالمين، فتور ويأس تترجم عنهما "الواو"، ولا تصلح لهما "الفاء"، فلا يلتئم أن يكون التعبير: فلما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم؛ لأن "الفاء" أداة حركة وسرعة؛ تعكس نشاطا وهِمّة غير واردين في هذا المقام لا من حيث الحالة النفسية، ولا من حيث التفرّق الذي يستغرق وقتا في الانتشار ثم الاجتماع من جديد.

ثم يأتي في مطلع **المشهد التالي**- مشهدِ دخولهم على العزيز- يوسف عليه السلام- بأخيهم المطلوب- إيثارُ "الواو"- كذلك- دون "الفاء"- دعما للدلالات السابقة بالنسبة لإخوة يوسف عليه السلام من جهة، ومُلْمِحا إلى تصَبُّر يوسف عليه السلام وتلطُّفه وتؤدَته في ضم أخيه إليه؛ تلافيا من أن يَلمح إخوته ما دَبَّر بالخصوص من الجهة الأخرى، بل إنهم الآن يشارفون الخطر المحذور على أخيهم بنيامين فتباطؤهم أشد وتخوّفهم أبلغ؛ فـ "الواو" لذلك أنسب.

---

(١) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٢/٩٧.

ولو جاءت "الفاء" هنا- فقيل: فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه- لضاعت تلك الإشارة الدقيقة المتعلقة بارتيابهم وبتصبر يوسف عليه السلام، برغم قبولِ السياق إياها- أعني: "الفاء"-؛ مراعاة لاعتبار أن يوسف عليه السلام كان على شوق السنين لأخيه ينتظر احتضانه وقد واتته الفرصة. والسياق لا يمنع من قبول الـ "الفاء" بهذا الاعتبار، غير أن الإشارة إلى الحذر من كشف تدبيره كانت ستُفتقَد، كما أن الإشارة لتوجُّسهم من المصير المجهول كانت ستضيع؛ فكان وجه الإعجاز في استعمال "الواو" لا "الفاء" والله أعلم.

أما إطفاء لهيب الشوق لديه فستنهض بترجمته "**لمّا**" القاضية باتصال الشرط بالجواب، فعلى حين تتباطأ الأحداث مع "الواو" من هذا الوجه، تتسارع مع "**لمَّا**" من الوجه الاخر، وهكذا تتماوج الأحداث وتتلاطم أمواجها عبر تلك الأدوات التركيبية الصغيرة، وسبحان من هذا كلامه!!

وهذا التماوج هو ما حام حوله الظلال حيث يقول: "ونجد السياق هنا يعجل بضم يوسف لأخيه في المأوى، وإطلاعه على أنه أخوه. يعجل السياق بهذا، بينما الطبيعي والمفهوم أن هذا لم يحدث فور دخولهم على يوسف. ولكن بعد أن اختلى يوسف بأخيه"(١). أمّا أنه "طبيعي" فنعم، أما "مفهوم" فمن أين إن لم يكن من "الواو"؟؟

ثم إن "الواو" هنا قد تلمح إلى شعور يوسف عليه السلام بتطاول الفترة الزمانية السابقة على مجيئهم بأخيهم ودخولهم به عليه وتثاقلها بعد طلبه إياه؛ لأن

(١) في ظلال القرآن ٢٠١٨/٤.

"الواو"- كما سبق مرارا- تُفسح لمساحة زمانية أرخى مما تفسح لها "الفاء"- سواء كان ذلك الارتخاء زمنيا، أو شعوريا مضمرا، فكأنهم تباطؤوا عليه مذ طلب منهم الإتيان بأخيهم حتى جاؤوا به، وعلى هذا الاعتبار المعنوي لا تصلح "الفاء" لهذا الموضع بحال- كما يتجلى لمن ينعم النظر في ترتيب الأحداث وتلاحقها انكماشا وارتخاء من خلال توزيع تينك الأداتين المتبادِلتين المواضع، وسبحان من هذا كلامه!!

وجليّ أن هذا الموضع مما يقرر أن لـ "الواو" "الاستئنافية هنا"(١) أثرا في ترجمة التراخي الزمني الواقع بين الحدث الذي قبلها والحدثين اللذين بعدها مقترنين بـ "**لما**"- أقصد شرطها وجوابها، كما تجلّى لـ "الفاء" أثر في ترجمة الفورية بين أحداثها- وكل فورية بحسبها كما تقرر سلفا- والله تعالى أعلم.

ثم يأتي **المشهد الثالث** بـ "الفاء" ليصور لحظة دخول إخوة يوسف عليه السلام على العزيز- الذي هو يوسف عليه السلام- بعد فترة من احتجازه أخاهم "بنيامين"، وقد جاءوا يهتبلون الفرصة للوقوف على أخباره. ولْنتَصوّرْ قوة الشوق وتعلق النفس وفورة الهمة نحو ذلك الدخول؛ لنرى ضرورة "الفاء"- العاطفة(٢) في ترجمة عظيم اهتمامهم لأمر أخيهم المحتجَز عند الملك، إن "الفاء" تصوّر

(١) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ٩٧/٢.

(٢) إعراب القرآن وبيانه (درويش) ٤٧/٥، وقيل: الاستئنافية. إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ١٠٣/٢.

عجلتهم إلى المِلك؛ تودُّدا إليه، وتلطُّفا وتمحُّلا وتعجُّلا إلى سببٍ ينتزعون به أخاهم من قبضته.

فلا مجال هنا لديهم لهدوءٍ، ولا وقت لاستراحة، وما هو إلا غرض واحد أهمّ هو الاطمئنان على أخيهم ومحاولة استنقاذه بموثِق أبيهم: (فَلَمَّا دَخَلُوا.)، "الفاء" هنا على ذلك تطوي فترة ما قبل الدخول، كما تباشر الخطاب منهم للملك لحظة الدخول.

ويتناغم مع هذه الدلالة ذلك الحذفُ الطويل الذي يسبق "الفاء"- كطبعها الغالب في أحداث السورة الكريمة- الحذف المرجّح لكونها عاطفة لا استئنافية- ، قال النيسابوري: "هاهنا إضمار، والتقدير: فقبلوا وصيَّة أبيهم، وعادوا إلى مصر، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ."(١)، وكأن الحبكة القصصية قد بلغت ذروتها؛ مما يؤذن بالانفراجة الكبرى (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟). ولذلك لا تصلح الواو هنا بحال بخلاف حتميتها مع المشهدين السابقين. والله أعلم.

وبذلك يتقرّر أن "الفاء" و"الواو" أداتان صالحتان للدلالة على الحالة النفسية للإنسان، كما أنهما صالحتان للإيحاء بحدود المساحة الزمنية للأحداث- طولا وقِصَرا. والله تعالى أعلم.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ت. الشيخ زكريا عميرات، ط.١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٦هـ.

الموضع السادس: قال الله ﷻ:

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ (٩٤)

هذه الآية الشريفة تجمع بين مشهدين، أحدهما على مشارف مصر- وقد فصلت العير القافلة- والآخر في بلاد كنعان- حيث يقيم يعقوب عليه السلام.

تجد الرخاوة والهدوء الناضحين من "الواو"- الاستئنافية(١)- واضحين، وترى السياق والمقام لـ "الواو"، دون "الفاء"، إذ إن وقت عودة العير من مصر بقي عليه زمن متطاول ممدود(٢) غير معلوم، لا للأبناء المخاطبين بهذا القول من يعقوب عليه السلام، أو لأبناء الأبناء- على خلاف بين المفسرين- ولا للمتكلم يعقوب عليه السلام.

ثم إن يعقوب عليه السلام بصدد إبداء أمر مستغرب مستبعَد- في وهمهم جدا- إذ ليس من المنطق المقبولِ- عادة- أنْ يجِد ريحَ ابنه المفقودِ من سنين عديدة(٣)، لذلك تراه عليه السلام يبدي وجدانه ريحَ ابنه على تردُّد وتوجُّسٍ أن

---

(١) إعراب القرآن الكريم (الدعاس) ١٠٤/٢.

(٢) عن ابْن عَبَّاسٍ: هَاجَتْ رِيحٌ فَحَمَلَتْ رِيحَ قَمِيصِ يُوسُفَ إِلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَمَانِ لَيَالٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مَسِيرَةُ عَشْرِ لَيَالٍ، وَعَنْهُ أَيْضًا مَسِيرَةُ شَهْرٍ. ينظر: القرطبي ٢٥٩،٢٦٠/٩.

(٣) جاء في روح المعاني أن مُدَّةُ فِرَاقِهِ مِنْهُ كانت سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. ينظر: روح المعاني ٣٢٣/٦، وقيل: مدة ثمانين سنة أو أربعين عند الأكثرين. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٣/٤.

يتهموه بفنَد(١) التعلّق بيوسف عليه السلام من جهة وفنَد طَعْنِه في السنّ من الجهة الأخرى؛ فلا حماسَ لديه عليه السلام- برغم قوة التعلّق- ولا مقام لصدح أو صدع بالإحساس حتى يعبّر عنه بـ "الفاء" السريعة الخاطفة النشطة المائرة، بل الملائم هو "الواو" الرخيّة الهادئة المهدئة المتلطّفة كما جاءت عليه التلاوة الشريفة.

وما توقعه يعقوب عليه السلام منهم وقع فعلا،(٢) فقد ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾(٩٥). وذلك مما يقرّر دلالة توجُّسه منهم التهمةَ؛ ممّا يقتضي "الواو" المتودِّدة بلطف، المتناغمة مع المقام برفق، المتآزرة في تحقيق الغرض بسلاسة. وهذا- كما سبق- ما لا يلائمه عنفوان "الفاء" مع "لمّا". والله تعالى أعلم.

* * *

(١) أصل الفند: الفساد، وقد جاء في معنى "تفنّدون" معاني كثيرة منها: تسفّهون الرأي، تجهّلون، تقولون ذهب عقلك، تكذّبون، تهرّمون، تحمّقون، تقولون: شيخ كبير قد خرف وذهب عقله، تضعّفون، تقبّحون، تعجّزون، تلومون، تضلّلون. ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣٥٥/٥

(٢) وقد ورد أن قائل ذلك ليعقوب عليه السلام بنوه- ولم يقصدوا بذلك ذماً فيأثموا-، وقيل بنو بنيه وكانوا صغاراً. ينظر: النكت والعيون ٧٨/٣ لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ت. السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط. دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان د. ت.

الخـــــــاتمة

بعد هذه السياحة المباركة في رياض البلاغة القرآنية والإعجاز اللغوي في سورة يوسف عليه السلام يطيب لي أن ألملم ما خرجتْ به تلك الدراسة من ملحوظات أهمها:

- تقرر- من خلال الدراسة- استيجابُ الأحداث واقتضاؤها ما اقتضته من اقتران "لما" بأيٍّ من "الفاء" و"الواو" حيث اقترنتا بها في السورة الكريمة، وقد عرضنا وناقشنا الأدلة المقامية والإشارات المعنوية المقْنعة والممتعة- مستئنسين على ذلك ما استطعنا بإشارات العلماء- على بُعدها وقلتها- . ورأينا من خلال تتبّع المقامات والسياقات أنه يمتنع أن تتبادل "الفاء" و"الواو" مواقعَهما في السورة الشريفة لغةً وبلاغةً.
- تجلى لنا وجهُ غلَبة دخول "الفاء" مقارَنة بـ "الواو" على "لما" في السورة الكريمة- حيث اقترنت الفاء" بـ "لما" في السورة الشريفة في ثلاثة عشر موضعا، بينما اقترنت "الواو" بها في ستة مواضع فقط- ورأينا أن وجه غلبة "الفاء" أن السورة الكريمة تعالج أحداث قصة من أكثر القصص القرآني- بل من أكثر قصص الحياة الدنيا- توترا وإثارة منذ بدايتها إلى نهايتها، فالأحداث فيها تتتابع وتتلاحق في أكثرها، ولا يتسق مع هذا إلا عطاء "الفاء" بطبعها السريع الخاطف، بينما رأينا "الواو" قد برعت في أحداث متناثرة ضمن القصة كانت أبطأ تلاحقا وأهدأ تتابعا، أو هكذا قُصِد لها أن تُصوَّر؛ ترجمةً لمعانٍ وأغراض عرضناها من خلال التحليل.

- رأينا "الفاء" المقترنة بـ "لما" بمثابة التوكيد المعنوي لها؛ إذ إن كلا منهما تسعى نحو الهدف ذاته- من طيّ عنصر الزمن **بين الجواب والشرط**- فهما حيثما اقترنتا قد تآزرتا على انعدام الزمن بينهما غالبا، وقررتا الإبانة عن اتصال الجواب بالشرط بلا فاصل زمنيّ، وكذلك طيّ الزمن الواقع **بين الحدث السابق على "الفاء" وبين الشرط** الواقع بعد "لما"، فتطوي تبعا لذلك أحداثا لم ينطق بها السياق.
- تأكّد من خلال البحث أن الفوريّة والمباشَرة الكامنة في "الفاء" قد لازمتها في مواضع اقترانها بـ "لما" على امتداد أحداث السورة الشريفة؛ فربطت بينها ربطا أشعر بحيوية أحداث القصة وتقاربها برغم تباعد الأحداث وترامیها على امتداد عقود من الزمان، بينما كان عطاء "الواو" من التباطؤ حيث اقترنت بـ "لما" في السورة الشريفة مقصودا خادما للسياق الداخلي والخارجي المباشر والممتد وللمقام والغرض، بحيث لا تصلح لمواضعها "الفاء" التي لا تصلح لمواضعها "الواو"؛ فكل منهما في حاقّ موضعها على الوجه الأتمّ. وسبحان من هذا كلامه!!
- أثبت البحث أن "الفاء" خصوصا- دون "الواو"- قد عاضدها حذف المعطوف عليه قبلها كثيرا- وقد استقصى البحث في ذلك نوعا من الاستقصاء-؛ وذلك طبعيّ لافتقاد "الواو" تلك الفورية الكامنة والمقصودة في "الفاء" في سياقاتها- لا أقول: في سورة يوسف عليه السلام خصوصا، بل في الذكر الحكيم عموما- وذلك يقتضي بحثا يتوفر عليه.

- رأينا أنه من اللافت في مواضع اقتران "الواو" بـ "لما" في السورة الشريفة أن "الواو" بارتخاء الزمن معها دون "الفاء" قد أسهمت بقوة في ترجمة حياة الفتور والمعاناة والياس أحيانا، أو حياة الاستقرار والهدوء والطمأنينة أحيانا أخرى، أو حياة الرخاء والنعمة والعِزّ في حياة الصدّيق يوسف عليه السلام أو في حياة غيره من أشخاص القصة، ومراجعة تلك الموضع تكشف عن ذلك.
- لما كان الجمع بين "ثم" و"لما" الحينية غيرَ منسجِم طبعا ودلالة كانت "الواو" هي البديلَ المتاح والعِوض المناسب لـ "ثم" في تصوير عنصر الزمن الرخيّ لتلك الأحداث المتراخية بإزاء تحقُّق الفورية المترجم عنها بـ "الفاء" في مواضع اقترانهما ب "لما" الحينية كلما اقتضت الأحداث، وكانت "الواو" بمثابة حلقة الوصل، أو الوسيط المرن الذي يسمح بترجمة المرونة الزمنية عوضا عن "ثم".
- باستقصاء مواضع "لما" الحينية في الذكر الحكيم تبين أن "ثُمَّ" لم تدخل عليها ولم تقترن بها قطّ، وذلك ما يقرّر فكرة أن البديل والعوض إنما هو "الواو"، وذلك هو المتبادِر من النظرة الخاطفة على مواضع اقترانها بـ "لما" الحينية في الذكر الحكيم عموما- والله تعالى أعلم.
- تبين من خلال البحث أنّ لـ "الواو" أثرا في ترجمة فتور الهِمّة وحصول اليأس، والنميمة عن الحالة النفسية المسترخية أو المتألمة للإنسان المعالج للحدث، إضافة إلى الترجمة عن التراخي الزمني الواقع بين الحدث- المعطوف بها عليه قبلها- وجملة الحدثين اللذين بعدها مقترنين بـ "لما"- أقصد شرطها وجوابها، كما أن لـ "الفاء" أثرا في ترجمة الحركة السريعة، وتصوير النشاط والهِمّة

للأشخاص الفاعلة في الحدث، إضافة إلى الإفصاح عن الفورية بين تلك الأحداث، في إطار قاعدة "كل فورية بحسبها"، فـ "الفاء" و"الواو" أداتان صالحتان لترجمة الحالة النفسية، كما أنهما صالحتان للإيحاء بحجم المساحة الزمنية للأحداث حال دخول كل منهما على "لما" الحينية. كما تقرر سلفا- والله تعالى أعلم. والله تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى:٩٨٢هـ) ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت د.ت.
- إعراب القرآن الكريم. لأحمد عبيد الدعاس وآخرين ط.١ دار المنير ودار الفارابي- دمشق١٤٢٥هـ.
- إعراب القرآن وبيانه. لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، ط.٤ دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص- سورية (دار اليمامة- دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت) ١٤١٥هـ.
- البحر المحيط في التفسير. لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ت. صدقي محمد جميل، ط. دار الفكر- بيروت ١٤٢٠.هـ
- بيان إعجاز القرآن لابي سليمان الخطابي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). تحقيق محمد خلف الله احمد، ومحمد زغلول سلام (ذخائر العرب) ط.٣ دار المعارف بمصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:١٣٩٣هـ) ط. الدار التونسية للنشر- تونس١٩٨٤هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ت. سامي بن محمد سلامة، ط.٢ دار طيبة للنشر والتوزيع١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- التفسير القرآني للقرآن. لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، ط. دار الفكر العربي- القاهرة د.ت.
- تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، ت. عبد الله محمود شحاته ط.١ دار إحياء التراث- بيروت ١٤٢٣هـ.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي ط.٢دار الفكر المعاصر- دمشق ١٤١٨هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم. لمحمد سيد طنطاوي، ط.١ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة- يناير١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ت. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢. دار الكتب المصرية- القاهرة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، ت. حمد زهير بن ناصر الناصر، ط.١ دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني. لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) ت. د فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- دراسات لأساليب القرآن الكريم. محمد عبد الخالق عضيمة ط. دار الحديث القاهرة د. ت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ت. الدكتور أحمد محمد الخراط، ط. دار القلم، دمشق د.ت.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني. لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، ت. محمود محمد شاكر أبو فهر، ط.٣مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, المولى أبي الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ط. دار الفكر — بيروت د.ت.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ت. عبد الرزاق المهدي، ط.١ دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٢٢هـ.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل. لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت د.ت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ت. الشيخ زكريا عميرات، ط.١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٦هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى:٥٣٨هـ)، ط.٣ دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن. لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ت. الإمام أبي محمد بن عاشور، الأستاذ نظير الساعدي ط.١ دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ت. عبد السلام عبد الشافي محمد ط١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٢هـ.
- مسند الإمام أحمد. ت. شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ط.١ مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى:٥١٠هـ) ت. عبد الرزاق المهدي، ط.١ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٢٠هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ط.١ عالم الكتب ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ت. د/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ط.٦ دار الفكر- دمشق ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط٣ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٢٠هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ت.

* * *